





أحياء علوم الدين ١
لأبي حامد محمد الغزالي
١١٦ ق
٢٥×١٦،٥ سم
٨٠٢ ن

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا
ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ونصلي
على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا
في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجما في الدين
هاديا وسراجا منيرا اما بعد فان الله جعل الارض ذلولا لعباده
لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا
مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها
او النار والعمر سافنة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد
وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه
مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته
بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز
بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد
من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل
في نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض

التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل
شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا
العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل
والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات
الدين تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات على مقادير
الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة الاوراد
وترتيبها الباب الثاني في كيفية احياء الليل وما يتعلق به الباب الاول
في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة
المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم انه لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا
سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله وان المحبة
والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل
الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله
ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر
البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في
وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن
واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال
والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن

الى فن ومن ترقى الى نوع بحسب كل وقت ليغزر بالانتقال لذتها ويعظم بلذتها
رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك انقسم الاوراد قسمة مختلفة
والذكر والفكر ينبغي ان يستغرق جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها
مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطرا وقاته الى التدبيرات الدنيا وشهواتها
المباحة مثلا والشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها
للطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ
الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب واما الرد
الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن
اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته ومن اراد ان ترجح
كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط
عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع وانظر الى ما قال الله
لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر
اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال الله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل
فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال الله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال
تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى واقم الصلوة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف

الفائزين من عباده وماذا وصفهم فقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالا
سحارهم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اي فسبحوا الله حين
تمسون وحين تصبحون وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات و
عمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين
يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان
وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل
لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم
مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل ليعرف مقادير الاوقات
فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك ويبين عليه قوله عز وجل وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك
في احدهما ما فات في الآخر وتبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره بيان اعداد الاوراد

ونرتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس
ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر
وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة
وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل
الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول
ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف يدل على شرفه وفضيلته
اقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح
وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه
الينا قبضا يسيرا وارشاد الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن اناء الليل
فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فليأخذ
من وقت انتباهه من النوم فاعلم انه ينبغي للطالب الصادق ان ينتبه ويستعد
لصلوة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر فاذا انتبه ينبغي ان يبتدئ
بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعية
التي والاوقات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه
وهو في الدعاء وينوي به ستر العورة امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته
غير قاصد رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا

الى

ويدعو بالادعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على
السنة كما ذكر في موضعه ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها
في الطهارة فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح في منزله كذلك كان يفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستحب ان يقرأ في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون
وفي الثانية قل هو الله احد فاذا سلم يقول ثلث مرات استغفر الله لذنبي سبحان
الله بحمد ربي ثم يصلي على النبي صلعم ثم يقرأ الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول
اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعاء ثم يضطجع
لحظة على شقه الايمن مستقبل القبلة فقد وردت السنة بذلك ويقول
في الاضطجاع اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وكذا ذكره الشيخ المحقق
شهاب الدين السهروردي في كتاب العوارف المعارف وقال ولهذا الدعاء اثر كثير
وما رايت احدا حافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصديقين
بعضا والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ بين السنة
والفريضة من صلوة الفجر ثم ليخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج
الى المسجد ولا يسعى بل يمشي وعليه السكينة والوقار ولا يشبك بين اصابعه فاذا دخل
المسجد يقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف
الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يصلهما
في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعة التحية عند

بعده

ويجلس منتظر الجماعة ولا يحب التغليس بالجماعة عند الشافعي رحمه الله وعند ابي
حنيفة رضي الله عنه الاسفار بها كما ذكرنا في فضيلة الجماعة وادابه واركانه في كتاب
الصلوة فليطلب ذلك منه ولا ينبغي ان يترك الجماعة في الصلوات الخمس وفي الصبح
والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلوة كان له
بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف
عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة
فان جلس حتى يركع كتب له بكل جلسة الف الف حسنة ومن صلى العتمة فله
مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل
طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت ابا
هريرة قد سبقني قال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت
لصلوة الغداة قال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة
بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يشتغل بعد ركعتي
الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم سبعين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنة
والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله

كما سنذكر ترتيبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة
الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وقد روي انه كان
صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها
ويصلي الركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى فلا تتكلم
الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى طلوع الشمس اربعة انواع
ادعية واذكار وتكررها في سبحة وقراءة قران وتفكر اما الادعية فكلما يفرغ
من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت
السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا
دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي
القيوم واتوب اليه ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير عشر مرات ويقول في آخر العاشرة واليه المصير هو
الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
نعم المولى ونعم النصير ويسبح خمسا وعشرين ويحمد خمسا وعشرين ويهلل خمسا
وعشرين ويكبر خمسا وعشرين فقد وردت السنة بذلك في رواية الامام احمد بن حنبل
والنسائي في عمل يوم وليلة وختمها بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم يفتح الدعاء بما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل
والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
ثم يبتدئ بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو
بجميعها ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراها اوفق لحاله وارق لقلبه واخف
على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات عشرة ورد في تكرارها فضائل لم
نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلث او سبع واكثرها مائة
او سبعون واوسطها عشرة فليكرر بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر
اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور
ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة
افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم كقطرات ماء يتقاطر
على الارض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق
ما يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر
ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الثالثة
سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وبحمده الخامسة قوله استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة

السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك
الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر
مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه اذا كرر كل واحد منها
عشر مرات افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد من هذه الكلمات
فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال
من كلمة الى كلمة نوع استراحة او امن من الملال فاما القراءة فيستحب له جملة من
من الايات ورد بفضلها احاديث كثيرة وهو ان يقرأ الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة
البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك
الايتين الرؤيا بالحق الى اخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الى اخرها وخمس
ايات من اول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر التي
اهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية
فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة فقد روي عن
كرز بن وبرة وكان من الابدال فقال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية فقال
يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي ومن اهدى لك هذه الهدية
قال اعطانيها ابراهيم التيمي رحمه الله قلت افلم تسأل ابراهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت جالسا

في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجائني رجل فسلم علي وجلس
عن يميني فلم ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا
ولا اطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر
فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية
اريد ان اهديها لك فقلت ما هي فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس و
انبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد سبع مرات وقل اعوذ برب الناس
وقل اعوذ برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحد
سبع مرات وتقول سبع مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبعا وتصلي
على النبي سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لك لنفسك و
لوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدنيا والدين والآخرة
ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤوف
رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك
هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال
اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي
انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى ادخلوه الجنة فراى ما
فيها وشيئا امورا عظيمة مما رآه في الجنة فقال فسالت الملائكة فقلت لمن
هذه كله فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها

قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل
صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول
الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من
جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رايت
في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل
بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة وانه ليغفر له جميع الذنوب التي عملها ويرفع الله
عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات
الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا
من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب بعد هذه
الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن
او اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بالتدبر
كما ذكرنا فضله وادابه في كتاب تلاوة القرآن واما الفكر ثم اعلم اولا انه
من فضائل الاعمال ومفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة
المعارف قال سفيان بن عيينة اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس
قال قال الحواريون لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك قال
نعم من كان نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن البصري

من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا
فهو لهو وكان لقمان يطيل الجلوس وحده وكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان
انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان
طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة ولقد امر الله به في الكتاب
العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض
الآية وقد نزل قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية لما بكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكاء شديدا كثيرا فقال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها ولكثرة ما وضع في القران
قال تعالى فيه فانظروا او لم ينظروا افلا ينظرون واعتبروا ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون لقوم يعقلون لاولي الالباب لمن كان له قلب وغير ذلك مما تحصى حث
والاغراء على الفكر ثم اعلم انه قد يجري فيما يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بالدنيا
وانما غرضنا القسم الاول فلنترك الثاني ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد
وبين الرب فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق
بالمعبود وصفاته وافعاله وانما غرضنا الاول ههنا فان الثاني يتعلق بعلم
المكاشفة فلنتركه واما ما يتعلق بالعبد فاما ان يكون فكره فيما هو محبوب عند
المعبود او فيما هو مكروه عنده ثم كل واحد منهما ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي
والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء
السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالزحف عن صف القتال وعقوق الوالدين

والسكنى والمسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلثة احوال
الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها
بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز
عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له
في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه
وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام
زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها
او اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن ينحصر هذه القسمة في اربعة
انواع فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سايرها وينفتح له باب الفكر ويتسع
عليه طريقه النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع
اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو ملابس في الحال معصية
بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او متعرض لها في نهاره
فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة
والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني
الى غير ذلك من المكاره فليقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في
شواهد القران والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض
لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد

وبان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله او يضع حصاة في فيه
اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز
عن المعاصي المتعلقة باللسان ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب
وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وانما ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه
ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما
يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقوي
للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام والشبهة فينظر من اين
مطعمه وملبسه ومشربه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخله ثم
يتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان
العبادات كلها مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى
لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه
ففي هذه القدر يغنيه عن الاستقصاء مهما حصل بالفكر حقيقة المعرفة بهذه
الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها وسنذكرها ان
شاء الله تعالى واما النوع الثاني فهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه
انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها
بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الاعمال التي تتعلق بها مما يحبه الله
فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في
طاعة الله

وتنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين
بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين
التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره
بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام
ملهوف واستماع حكمة وعلم واستماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى
به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك
يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله بالتعليم وبالوعظ وبالتودد
الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب
زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر
في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما
احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار
احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه
وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى
بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة ويتفكر فيما يرغبه في البدار
الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى
تزكو ما عمله وقس على هذا سائر الطاعات واما النوع الثالث فهو الصفات
المهلكة التي محلها القلب فيعرفها من كتب احياء علوم الدين ومن كتب علماء الآخرة

وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن
والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه
منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه وبالاستشهاد وبالعلامات عليه فان النفس
ابدا تعد بالخير عن نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان
تجرب بحمل حزمة في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم فاذا ادعت الحلم
تعرض للغضب يناله من غيره ثم تجربه في كظم الغيظ وكذلك في ساير الصفات وهذا
تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات مذكورة في كتب احياء
علوم الدين وفي جميع الكتب المصنفة في فقه الدين لعلماء الآخرة فاذا دلت العلامة
على وجودها تفكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشاءها
من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر
ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا
الي وانما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق
قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وقدرتي وارادتي فكيف اعجب
بعملي او بنفسي فلا قوام لنفسي بنفسي واذا احس بنفسه بالكبر قدر على نفسه
ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك
ينكشف بعد الموت وكم من كافر يموت مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر في بعض
عمره وموته على الايمان والعمل الصالح وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله في بعض

عمره وموته على سوء الاعتقاد وضعف الايمان والاعمال الخبيثة والموجبة لسوء الخاتمة
نعوذ بالله منه فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته
بتعاطي اعمال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في
ان هذه صفة البهايم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من
صفات الله وصفات الملائكة ولما اتصف بها البهايم ومهما كان الشره عليه
اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد فكذلك يقرر على
نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك مذكور في كتاب احياء علوم
الدين وفي الكتب القديمة المصنفة في فقه الدين لعلماء الآخرة فمن يريد ان يتسع
له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في تلك الكتب واما النوع الرابع
وهو المنجيات فهي التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء
والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله
وتعظيمه والرضاء بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع اليه وكل ذلك مذكورة
في الكتب المذكورة مع اسبابه وعلاماته فيتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه
من هذه الصفات التي هي مقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال
لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال
التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها
في قلبه ثم لينظر الى الوعيد والتشديد الذي ورد الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض
لمقت الله تعالى

حتى ينبعث به حال الندم فاذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان
الله اليه واياديه عليه وفي ارسال جميل ستره عليه على ما شرح بعضه في كتاب الشكر
من كتاب احيا علوم الدين وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في
جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع صنعه
كما رمزنا الى طريق يسير منه في كتاب الفكر من الكتب المذكورة فاذا اراد حال الخوف فلينظر
اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سوال
منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة
الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب
والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده
انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فيكون من اصحاب اليمين
وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد اهوال القيمة في قلبه صورة جهنم ودركاتها
ومقامعها واهوالها وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب
فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد
سمعوا زفيرها وتغيظها وشهيقها الى جميع ما ورد في القران شرحها فاذا اراد
ان يستجلب حال الرجا فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها
ولذاتها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق الذي يطلب به العلوم التي تثمر
الفكر

اجتلاب احوال محبوبة والتنزه عن صفات مذمومة وقد صنف في كل واحد
من هذه الاحوال كتب يستعان بها من طلب شيا وجد وجد ومن قرع بابا و
لج ولج اما اذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع
لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء العالمين وفيه ما يورث الخوف والرجا
والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر عن ساير الصفات
المذمومة فينبغي ان يقرا العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد
اخرى ولو مائة مرة وقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة وليتوقف في التامل
فيها مرة ولو ليلة كاملة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر لا يوقف عليها
الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة
لو تاملها العالم حق تامله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار
يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت
فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به
فان هذه كلمة جامعة حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا
على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين
التلفت الى الدنيا بالكلية واذا عرفت مجاري الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد
وبين ربه فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك ودابك فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك
المبتدة من

الله تعالى واحوال المقربة اليه تعالى بل للدنيا والآخرة فينبغي ان يكون له جريدة يثبت
فيها جملة الصفات المهلكات وجملة صفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات
ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم
من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام
وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة والندم على الذنوب
والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد
في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه
عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما كفي من المذمومات واحدة
فيخط عليها من جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزيهه
قلبه منها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل
الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك
يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا
خط عليها واشتغل بالباقي ولا سبيل الى محو هذه الرذائل الا بعد محو المعاصي
الظاهرة فينبغي قبل محو هذه الرذائل المعقولة والاخلاق المذمومة ان يثبت
في جريدة المعاصي الظاهرة كاكل الشبهات واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة
والمراء والثناء على النفس والافراط في معادات الاعداء وموالات الاولياء ومداهنة
مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان الذي يعد نفسه من وجوه الصالحين

لا ينفك عن جملة المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال
بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي
ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاصيهم منعزل عنها مثاله العالم الورع
فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت
اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها
الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن
الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل
عن الانفة والغيظ والحقد على من يرده الذي هو غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس
الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة
بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له نعم
ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف في الرد والاعتراض لم يخل عن تكلف وتصنع
للتحسين اللفظ حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد
يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن
موقعه في القلب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه
اكثر من فرحه من ثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدور حول الجاه
وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره حتى
يكون الموقر له والمعترف بفضله الزاجر له ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو
في موالات غيره

وان كان ذلك الغير مستحقا للموالات وربما ينتهى الامر باهل العلم الى ان يتغايروا
تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم
انه منتفع بغيره ومستفيد منه فى دينه ولا هذا رشح الصفات المهلكات مستكنة
فى سر القلب الذى قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه
العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك ممن احس فى نفسه
بهذه الصفات وعلم وجودها بالعلامات المذكورة فالواجب عليه الانفراد والعزلة
وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى ما استطاع فقد كان المسجد يحوى جماعة من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا ابدا يتدافعون الفتوى وكل من يستفتى كان يود ان
يكفيه غيره وعند هذا ينبغى ان يتقى شياطين الانس اذ قالوا لا تفعل هذا فان هذا
الباب لو انفتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن
عنى فقد كان معمورا قبلى وكذلك يكون بعدى ولو مت لم تنهدم اركان الاسلام
والدين مستغن عنى واما انا فمستغن عن اصلاح قلبى واما اداء ذلك الى اندراس
العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا فى السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا
بالنار عن طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم
حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم لا يندرس ما دام الشيطان
يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنشره
اقوام لا نصيب لهم فى الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام

لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغى ان يغتر العالم بهذه
التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى فى قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم
فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق فى قلبه
كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم
باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال فى دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب
الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك لذة ما يتزايد جاهه فى قلوبهم فليكن
فكر العالم المتفطن فى خفايا هذه الصفات من قلبه وفى استنباط طرق الخلاص منها
وهذه وظيفة العالم المتقى واما اكثر امثال علماء زماننا فينبغى ان يكون تفكرهم
فيما يقوى ايمانهم بيوم الحساب اذ لو رآهم السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء
لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالهم اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا
هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشهوات والشبهات
والحرام وترك المعاصى وهم منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات وهم
مقصرون فى الفرائض منها فلم تحصل لهم من ثمرة العلم الا انه يقتدى بهم بالحرص على الدنيا
والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتهم كانوا
كالعوام اذا ماتوا ماتت معهم ذنوبهم فما اعظم الفتنة التى تعرضوا لها لو تفكروا فنسأل
الله تعالى ان يصلحنا واياهم ويصلح بنا وبهم ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا وانه الكريم
اللطيف بنا وبهم المنعم علينا وعليهم فهذه مجارى افكار العلماء والصالحين فى علم المعاملة

فان في غوامضها انقطع النفا التي عن انفسهم وارتفعوا منها الى التفكر في جلاله وعظمته
والتنعم بمشاهدته بجبين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك عن جميع الصفات
المهلكات والاتصاف بجميع الصفات المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مخدوشا
مطولا مكدرا مقطوعا او كان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون
كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى
فينغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في الكمال التنعم الا باخراج العقارب من
ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي موذيات ومشوشات
وفي القبر يزداد المها لدغها على لدغ العقارب والحيات وهذا القدر كاف في التنبيه الى
مجارى فكر العبد فيما ينفعه في المعاملة وذلك كله بعد ان يحاسب نفسه فيما سبق
من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه فان لم يتفق الحساب مع النفس اهتم
كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم الآخرة ثم كيف
ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا
يدوم خير من خير لا يدوم ولذلك قيل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه
صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة
النفس والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فان كل
نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض له يمكن ان يشترى بها كنزا من الكنوز
لا يتناهى نعيمها ابد الآباد فانقضاء هذه ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك

خسران عظيم لا يسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح الى ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر
ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم
الجديد قد امهلني الله تعالى فيه وانسى في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى
ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا واحسبي انك توفيت
ثم رجعت فاياك ثم اياك ان تضيعي اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة
لا قيمة له قال الله تعالى حكاية عنهم رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية وجد
مكتوبا على قبر يا ايها الناس كان لي امل فقصرني عن بلوغه الاجل فليتق
الله ربه رجل امكنه في حيوته العمل وما انا وحدي نقلت حيث ترى كل
الى مثله سينقل واعلم انه لو عرض على الموتى يوم واحد من ايام عمرهم الذي ضيعوها
لكان احب ذلك اليهم من الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف لهم
حقايق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر تقصيره فيتخلص
من العقاب وليتزيد الموفق به رتبة فيتضاعف به الناس الثواب فانهم
انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من حيوة وانت
قادر على تلك الساعة وتقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك
على التحسر على تضييعها عند خروج الامر من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك
من ساعتك على السبيل الابتدار فقد قال اولياء الله رايت اخالي في الله فيما يرى

النائم

فقلت يا فلان حسنت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على ان اتي لها احب
الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر كيف لما ناموا يرقدون فان فلان قام يصلي ركعتين
لان اكون اقدر على ان اصليها احب الي من الدنيا وما فيها ثم وقف بالقبور وناديها
ساحاتها: من منكم المغموم في ظلماتها: ومن المكرم منكم في قعرها: قد ذاق
برد الامن من روعاتها: اما السكون لذا العيون فواحد لا يستبين الفضل
في درجاتها لو جاوبوك لاخبروك بالسن: تصف الحقايق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة: يفضي الى ما شاء من راحاتها: والمجرم الطاغي بها
متقلب في حفرة ياوي الى حياتها: وعقارب تسعى اليه فروحه
في شدة التعذيب من لدغاتها: واعلم ان اليوم والليلة اربع وعشرون
ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون
خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي
عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك
الانوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك
الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح
نتنها ويغشاها ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول
والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة
ليس فيها ما يسره ولا يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء

من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على
الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة
وغبنا وهكذا يعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول في نفسه اجتهدي
اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك
ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما
يدركه غيرك وتبقى عند حسرتها فهذه وصية النفس ثم ليستانف الوصية
في الاعضاء السبعة كما ذكرنا ثم ليستانف وصيتها في وظايف الطاعات التي
يتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على
الاكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها
وهذه شروط يفتقر اليها في كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك
على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها
فان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل
يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيه حق ويكثر هذا
على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو يوم
عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة
فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها شر عاقبة اهمالها ويعظها كما يعظ
العبد المتمرد الابق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية

ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجرى
مجراه وهو اول مقامات المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة
تكون تارة بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ومعناه وزن الامور اولا وقدرها ونظر فيها
وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر فقد
قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال الله تعالى ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا الا يدعون
الويل والثبور ويضجون من الصغيرة قبل الكبيرة وقال الله تعالى يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه الاية وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه فان في كلام
الله القاطع هذه الايات فتحقق ان الله لبالمرصاد وان الناس سيناقشون
في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه

قبل ان تحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن
منقلبه ومآبه ومن لم تحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة
وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لك ذلك وعلمت انه لا
ينجي من عذاب الله وعقابه الا طاعة الله تعالى وقد امر الله تعالى
بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فعليكم
تحصيل كتابيها والعمل بمقتضاهما ولقد رمزنا في هذا الكتاب الى شي يسير منه
وسيجيى انشاء الله تعالى وقد قال النبي عليه السلام لمعاذ بن جبل ان الرجل
ليسئل حتى عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب
اخيه قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الاية فهذه
الوظايف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفتك
بعد صلوة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس لك بعد
الصلوة وظيفة سوى هذه الوظيفة ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنة
والصوم هو الجنة التي يضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف لك عن سبيل
الرشاد الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني
ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنى عشر ساعة وهو الربع فى
هذا الربع من النهار وظيفتان احدهما صلوة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلوة
ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت

فهو بعد [illegible] ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا ضحيت الاقدام فوقت الركعتين
هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق وهو ظهور تمام نور
وارتفاعه عن موازات البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع
هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان
صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات
المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع
جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة
لمسلم وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظايف الاربعة التي قدمناها
من الادعية والذكر والقرآن والفكر والصلوة المتطوع بها ان شاء فتصير
الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده الورد الثالث من
ضحوة النهار الى الزوال والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران
احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا
فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر
الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان
يكتسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه لوقته فليرجع الى بيت ربه
وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه

اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلثة مواطن
مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد
له منه بل اكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان
يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون ويجمعون ما لا تاكلون ويبنون
ما لا تسكنون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه
ولا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعين بها على قيام الليل
كما ان التسحر سنة على صيام النهار وان كان لا يقوم بالليل ولكن لم ينم لم يشتغل
بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث
نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال
بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد
احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل
الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة
فاذا نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه
قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول
وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل
بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم
بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى

ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت
الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد
معنيي قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي تخلف احدهما الاخر
في الفضل الثاني انه تخلفه فيتدارك فيه ما فات احدهما الورد الرابع ما بين
الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر ورواتبه وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها
فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن
الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة
فهو وقت الاظهار الذي قال الله تعالى وحين تظهرون وليصلي في هذا الوقت اربع
ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة وليطول هذه الركعات اذ فيها يفتح ابواب السماء كما
وردت الاخبار فيه وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المائين او اربعا
من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يرفع له فيه عمل ثم يصلي الظهر بجماعة وليصلي بعد الظهر ركعتين ثم اربعا
ذكره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه
النافلة اية الكرسي واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا
له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس
ما بعد ذلك الى العصر يستحب فيه ان يقعد في المسجد مشغولا بالذكر والصلوة او
فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة

بعد الصلوة وكان ذلك عادة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين
دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه
واحياء هذا الورد وهو ايضا غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل وفي
هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان وقال بعض العلماء ثلث
يمقت الله تعالى عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير
سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه
ثمان ساعات في الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار
وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة ان
ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره
عشرون سنة ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء للبدن وكما ان العلم
والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي
الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب
وهذا الورد من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى
اذ قال ويسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال واذا
سجد لله الجمادات فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس
اذا دخل وقت العصر دخل ورد السادس وهو الذي اقسم الله به اذ قال والعصر
هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله
وعشيا

وقوله تعالى بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات بين الاذانين
كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة في الورد الاول الى ان
يرتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة
تلاوة القران بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعا والفكر فيندرج في هذا
القسم اكثر مقاصد الاقسام الثلاثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب
الى الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة
في ضوئها دخل هذا الورد والمراد بقوله تعالى سبحان الله حين تمسون وهو الطرف
الثاني والمراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول
النهار فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرنا في
الورد الاول من الاذكار العشر من قوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القران احب كقوله استغفر الله
انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب
الشمس والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب عليه
الشمس وانت في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك
وادبار نهارك واصوات دعاتك اسئلك ان تغفر لي الدعا كما سبق ثم يجيب
المؤذن ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان

يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل ساوى
يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها
عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان يكن
الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على التلافي ما سبق من تقصيره وليحضر في
قلبه ان نهار العمر له اخر تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون لها بعده طلوع وعند
ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة
جملتها بانقضاء احادها بيان اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس
صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين فاخر هذا الورد غيبوبة الشفق
اعني الحمرة التي بغيبتها تدخل وقت العتمة وقد اقسم الله تعالى به وقال فلا اقسم بالشفق
والصلوة فيه ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو اني من الاناء المذكورة في قوله
تعالى ومن اناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن ابي الزناد الى رسول الله انه سئل
عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة
بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتذهب اخره وسئل انس عمن ينام بين العشائين
فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تتجافى جنوبهم وسياتي فضل احيا ما بين
العشائين وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا ويستحب ان يقرا في الاولى

قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقب المغرب من غير تخلل كلام و
شغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد
قريبا من المنزل فلا بأس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد وان
عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل فليصليها في المسجد اذا كان آمنا من التصنع
والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء الى حد نومة الناس وهو اول استحكام
الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته ويترتب هذا الورد
بمراعاة ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل
الفرض احياء ما بين الاذانين وستة بعد الفرض ركعتان ثم اربع ويستحب ان يقرا
فيها من القران الآية المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني
ان يصلي ثلث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها
من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم
فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل
افضل ويستحب ان يقرا في هذه الصلوة قدر ثلثمائة آية من سور المخصوصة التي
كان صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل سجدة الم تنزيل وسورة الدخان وتبارك الملك
والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة او بعضها قبل النوم فقد
روي في ثلثة احاديث ما كان يقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة
وتبارك الملك وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة

اي سورة الحديد وسورة الحشر والصف وسورة الجمعة وسورة التغابن

ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء يجعلونها ستة يزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ
في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرا في ثلث ركعات الوتر
سورة سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص الثالث الوتر وليوتر
قبل النوم ان لم يكن عادة القيام وان كان معتادا لصلوة الليل فالتاخير افضل
وقالت عايشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره و
انتهى وتره الى السحر في ليلة ويستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
سبوح قدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت
وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه عليه السلام ما مات
حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف اجر القائم الورد
الثالث النوم فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام العبد
على طهارة ذاكر الله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان
تحرك في نومه فذكر الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على
الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف من العلماء وارباب القلوب الصافية
فانهم يكاشفون في النوم بالاسرار ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العلماء عبادة
ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام
منه شيئا واتفوق القران فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم
واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك

وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد على
طهارة عرج بروحه الى العرش وكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت
روحه عن البلوغ فتلك المنام اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر
والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند
راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه يستاك كذلك كان
يفعل بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة
مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة فكانوا يستحبون
مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء و
التفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام من
اتى فراشه وهو ان ينوي يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له
ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصية
مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم يقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن
له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يزوره الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم
لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت
الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع
ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم
احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال عليه السلام من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد

ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة
بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع
نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم
ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم
غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان
غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول
كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي
بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم ما تيسر له
فاذا غلبه النوم فليرقد وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي ولا ينام ويصوم
ولا يفطر فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس
مني السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال
المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة
والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه
اذا نام على شقه الايمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت
جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة
مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله
يعقلون

يقال ان من قرا عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف
هذه الاية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى قوله المحسنين واخر بني اسرائيل
قل ادعوا الله الايتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا
المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده وكذلك كان
يفعل رسول الله ولیقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من اخره وهذه الاي للا
ستيقاظ لقيام الليل وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله
ينام قبل ان يقرا الايتين من سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة مرة التاسع
ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها سماها الله توفيا وكما ان التيقظ ربما
كشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم وكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط
بباله ولا يشاهد حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت كمثل البرزخ بين الدنيا و
الاخرة وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت
وان تشك في البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال
كعب الاخبار اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها
وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر ما يقول حين ينام وهو
واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش
العظيم

ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعا الى اخره كما ذكرناه في الدعوات يحق على العبد ان يفتش
عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا
وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من
احب ومع ما احب العاشر الدعا عند تنبهاته وتقلباته فليقل ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز
الغفار فليجتهد ان يكون اخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه
عند التيقظ ذكر الله فهو علامة حب الله ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب
عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف له عن باطن القلب وانما استحب هذه الاذكار
ليستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور الى اخره من اوردنا من ادعية التيقظ الورد الرابع يدخل بمضي النصف الاول
من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد المتهجد فاسم التهجد يختص
بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو
وسط النهار وبه اقسم الله تعالى والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه وهدوه في هذا الوقت
فلا تبقى عين الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اي اذا
امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي اخر الليل وردت
الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى السماء الدنيا
وغير ذلك

من الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء
الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه
من يستغفرنى فاغفر له وفى رواية يبسط يديه يقول من يقرض غير عدوم ولا
ظلوم حتى ينفجر الفجر وقال ان فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا
من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة وقال عليكم بقيام الليل فانه
داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم
وفى رواية ومطردة للداء عن الجسد وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون الرب من العبد
فى جوف الليل الاخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن
هذا الورد الرابع بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق
وادابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا
ويهلل وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال و
البهاء والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات
والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار
حق والنبيون حق ومحمد حق صلى الله عليه وسلم اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك
توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما

اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم ات نفسى تقواها وزكها
انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدنى لاحسن الاعمال لا يهدى
لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسألة البائس
المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن
بى رءوفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين وقالت عائشة رضى الله عنها
كان عليه السلام اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبرائيل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا
فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم
ثم يفتتح الصلوة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى او اربعا اربعا ما تيسر له ويختم
بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين صلوتين عند تسليمه بماية تسبيحة
ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح فى صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى
اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر
بالتدريج الى ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضى الله عنها اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجهر فى قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر ويقرأ فى هذه الركعات من القرآن
او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو فى حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير
الورد الخامس من السدس الاخير من اجزاء الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار
هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذى هو وقت
الانصراف

ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار يستحب فى هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضت
اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتين الفجر وهو المراد بقوله سبحانه ومن الليل فسبحه
وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى اخره ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه
وشهدت به ملائكته واولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله
وديعة واسئله حفظها حتى يتوفانى عليها اللهم احطط بها عنى وزرا واجعل
لى بها عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا
فهذه ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين اربعة
امور صدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفى الخبر من جمع بين هذه الاربعة
فى يوم غفر له وفى رواية اخرى دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع
بحسب نيته وكانوا يكرهون ان يقضى اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة
خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضى الله عنها الى سائل عنبة واحدة فنظر
بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل
اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فما ساله احد شيا فقال له لا ولكن ان لم يقدر
عليه سكت وفى الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفصل وفى
جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة
وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر

التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى بانى على ذلك طاقة او تجمعن ذلك بيان
اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الاخرة السالك لطريقها
لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف
واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد وهو المتجرد للعبادة
الذى لا شغل له اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم
لا يبعد ان تختلف وظايفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما فى الصلوة او فى القراءة
او فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان
فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة
واقل ما نقل فى اورادهم من الصلوة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده
القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم
يقضى اليوم والليلة فى التفكر فى اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة
فكان يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم
القران فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان
فهو مائتان وثمانون ركوع فان قلت فما الاولى فاعلم ان قراءة القران فى الصلوة قايما
مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال
الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به
فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى
غيره

ولذلك لم يرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما
سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد
ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة
مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روي
عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع
صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا
ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك
قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قال مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من
يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان
المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا
فليلازمه واي ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه الثاني العالم
الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب
العابد فانه محتاج الى مطالعة الكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها
لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات
ورواتبها ويدل على ذلك العقل والنقل اما النقل فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولو العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا
شرفا وفضلا

وقوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضي الله عنه
للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام
وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله انما يخشى الله من عباده
العلماء وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى قال
الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقوله فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن بين ان عظم قدر
الاخرة يعلم بالعلم وقوله وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله
تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع
الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل في قوله تعالى يا بني
ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي
الحياء وقوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال الله تعالى فلنقصن عليهم
بعلم وقال الله تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال الله تعالى خلق الانسان
علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الانبياء ومعلوم
انه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام
يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل الملائكة

وما في السموات والارض باستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له

وقال عليه السلام خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين ولا

تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي

بيان معنى الفقه وادنى درجات ان يعلم ان الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا

صدقت وغلبت برأته عن النفاق والرياء وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن

العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام اقرب الناس

من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على

ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به

الرسل وقال عليه السلام لموت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام يوزن يوم

القيامة مداد العلماء ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين

حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال

عليه السلام من حمل امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال

من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام

اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وقال عليه السلام

العالم امين الله في الارض وقال عليه السلام صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس

الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى

الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي

فانظر كيف قرن العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد

لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة وقال عليه السلام فضل

العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيمة

ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة

مع ورود في فضل الشهادة وقال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين الله ولفقيه

واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال فضل

المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعين درجة وقال عليه السلام بين العالم والعابد

مائة درجة ما بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة قال علي كرم الله

وجهه العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال العلم حاكم والمال محكوم عليه

والمال ينقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم

القايم المجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف

منه وقال ايضا نظما شعر ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى

ادلاء ٭ وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ٭ والجاهلون لاهل العلم اعداء ٭

فز بعلم ولا تبغ به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء ٭ وقال ابو الاسود

ليس شيء اعز من العلم ٭ الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال

ابن عباس خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار

العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن مبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك

قال الزاهد الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم

من الناس لان الخاصية التي بها يتميز عن سائر البهائم هي العلم والانسان

انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه

فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بالاكل فان الحمار اوسع

بطنا منه ولا بالجماع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم

وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم

وقال فتح الموصلي رحمه الله اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا

بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه العلم والحكمة ثلثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء

القلب العلم والحكمة وبه حيوته كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض

وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان

غلبة الخوف قد يبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء

الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس الخفيف عن سكره

وبما اصابه من الجراحات في حالة السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود

عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال

قتلوا في سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدهم لم يولد عالما

وان العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي

هريرة واحمد بن حنبل

27

وقنا عذاب النار يوزعون

وقال الحسن في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وهو العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة

هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء نقتني قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت

معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة

لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رحمه الله من

شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن قال الاحنف كاد

لم يوكد بعلم فالي ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت

باي حرفة احترف فقال العلم فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى اتاني امير المدينة زائرا

فلم اذن له وقال ابن الزبير ابن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت

كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم

بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل مطر السماء وقال الزهري العلم

ذكر ولا يحبه الا الذكور من الرجال فضيلة التعليم اما الآيات فقوله ولينذروا

قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا

الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال الله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق

وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وفسره صلى الله عليه وسلم

فقال ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه قال

الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة واما الاخبار فقال عليه السلام لما بعث معاذ

الى اليمن

لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم
الناس اعطي ثواب سبعين نبيا صديقا وقال عيسى من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في ملكوت
السموات عظيما وقال عليه السلام اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين
ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندي كبعض
ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي
بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال عليه السلام من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من النار وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك
مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما
والاه ومعلم ومتعلم وقال ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها
وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل
من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها
خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء
اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم
وجلس معهم وقال عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية
اولد صالح يدعو له او علم ينتفع به من بعده وقال الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق
منه سرا وجهرا

وقال عليه

رحمة الله على خلفائي

وقال عليه السلام على خلفائي قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله
واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقد روي
ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث ولا يسئله الناس فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد
هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم وقال
عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسئلني
عن شيء وقال العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال
الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية
الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن
حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك
قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم
الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم
ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل
وروي مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب
في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به
اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتفى اثارهم وترمق افعالهم
ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم كل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان
البحر وهوامه

وسباع البر وانعامه والسماء ونحوها لان العلم حيوة القلب من العمى ونور الابصار من
الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه
يعدل بالقيام ومدارسته في القيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه يوصل
الارحام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء وقال عبد الله بن
مبارك من بخل بالعلم ابتلى بثلث اما موت فيذهب علمه واما ينسى واما يلزم السلاطين
فيذهب علمه ونبل له وهل بقي من ينصح قال وهل بقي من يعقل فالعالم متصرف في
قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على ظهر الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر
قلبه والعالم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى
فتعليم من وجه عبادة الله ومن وجه خلافة الله وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد
فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون
في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه
في تقريبهم الى الله عز وجل زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى فقد تبين لك ان العلم افضل
يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمل
قال الله تعالى وقال رسوله ونبيه منفعة للخلق وهدايتهم الى طريق الاخرة ورب مسئلة
واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما
نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الاخرة ويزهدهم في الدنيا
والعلم الذي يعينهم على السلوك طريق الاخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك
دون العلم

الذي يولد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق فان قلت فصل لي ذلك العلم تفصيلا يشير
الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم ان العلم الاخرة قسمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وعلم المعاملة علم ما يتعلق بالايمان وهو ما ذكرنا في قواعد العقايد
الا وعلم الاعمال وهو ما ذكرنا بعده من احكام الطهارة والصلوة والزكوة والصوم
وغيرها وعلم الاحوال اعني احوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والمحبة
والرضاء والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال و
الاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص ومعرفة
حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها يكتسب وثمراتها وعلاماتها و
معالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود وما يذم منها كخوف الفقر
وسخط المقدور والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء
في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل
والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء
والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف
والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال
الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار
للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال
على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والتسويف والقسوة والفظاظة

والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش
والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت
الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم
بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى
علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة
هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر فقهاء الدنيا في فروض العين بالاضافة
الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه زماننا عن معنى من هذه المعاني
حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه
الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات
من التفريعات الدقيقة التي ينقضي الدهور ولا يحتاج الى شي منها وان احتيج لم تخل البلد عمن
يقوم بها ويكفيه مونة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم
نفسه في الدين اذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى
غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه ادا حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين
بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية
وقد قام بها جماعة واهمال ما لا قايم به هل لهذا سبب الا انه قد يتوصل به الى تولي الاوقاف
والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضا والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على
الاعدا هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علما السو فالله المستعان واليه الملاذ

كذلك

في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان فقها الذين هم
زعما الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم وهو ابو حنيفة والشافعي ومالك وحنبل
وسفيان الثوري رحمهم الله كل واحد منهم عالما بعلوم الاخرة وعابدا وزاهدا وفقيها في مصالح الخلق
في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقها العصر من جملتها على خصلة
واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه
الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد به الاخرة فلصلاحها للدنيا تشمروا لها
وادعوا مشابهة اوليك الائمة وهيهات فلا تقاس الملايكة بالحدادين وظلموهم
بانتحال مذهبهم وانهم من اشد خصمايهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وانهم
ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها وقد شوهد من
احوالهم ما هو علامات علما الاخرة قال ابن المبارك رحمه الله عليه كان ابي حنيفة له مروة وكثرة
الصلوة قال حماد بن ابي سليمان انه كان يحيى الليل كله وقال ربيع بن عاصم ارسلني يزيد بن عمر بن
هبيرة فقدمت ابي حنيفة رحمه الله عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر
كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة
انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره
فاختار عذابه على عذاب الله وذكر ابي حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت
عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وقد امر ابو جعفر امير المومنين بعشرة الاف درهم فما
رضي ابي حنيفة فلما كان في اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم

فجاء رسوله بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه
عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته
فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل
له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك وقال الحسن رحمة الله على
ابيك لقد كان شحيحا على دينه ودعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم قال
ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء فهذا ما يدل على
عبادته وزهده واما علمه بامور الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه
شدة الخوف من الله وزهده في الدنيا قال ابن جريج كان ابي حنيفة شديد الخوف من الله
وقال شريك النخعي كان ابي حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا
من اوضح الامارات على علم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد
فقد اوتي العلم كله واما الشافعي رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك
في الصلوة وقال رحمه الله ما شبعت منذ ست عشر سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي
القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه على العبادة فانظر الى حكمته في آفات
الشبع ثم في جده في العبادة اذا طرح الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام وقال رحمه الله
ما حلفت بالله صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله عز وجل ودلالة ذلك على
علمه بجلال الله تعالى وقال رحمه الله كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة
الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم وقال احمد بن يحيى خرج الشافعي يوما
من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي
الينا وقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع
شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شيء في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم
ولو ردت كلمة السفيه لسعد بها رادها كما يشقى بها قائلها وقال الحميدي خرج الشافعي
رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الف درهم فضرب خباءه في موضع
خارج من مكة فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام فاعطى الحمامي مالا
كثيرا وسقط سوطه من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزاء على ذلك خمسين دينارا
وسخاوته اشهر من ان تحكى والراس الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه وروى
سفيان بن عيينة حديثا من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات فقال ان مات فقد
مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا وسمع يوما قاريا يقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
فتغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق
جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين
وذلت رقبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك
وروي ان عبد القاهر كان رجلا ورعا وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع
والشافعي يقبل عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي
التمكين درجة الانبياء فلا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا يرى
ان الله تعالى امتحن ابرهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن ايوب عليه السلام

وامتحن سليمان عليه السلام ثم اتاه ملكا عظيما والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف في الارض وقال في حق ايوب واتيناه اهله ومثلهم معهم فهذا الكلام من الشافعي
يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله من الانبياء و
الاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظيم رتبتهما في علوم الآخرة
وكذلك ما نقل عن الائمة الثلثة الباقية فلا نطول الكتاب بايرادها واما علم المكاشفة
هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم
اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه
خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى
لم يتحقق به وقد يتحقق بساير العلوم واقل عقوبة من ينكره ان لا يذوق منه شيئا وهو علم
الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره
وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها
فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فيتضح اذ ذاك حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله
وصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه الآخرة على
الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية
معادات الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة
بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه
ومعرفة الفرق بين لمة الملائكة ولمة الشياطين ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر

والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله وان
الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب
منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة
والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم بعضا فيها كما يرى الكواكب
الدرية في جو السماء ومعرفة الابطن السبعة من القرآن وكشف الحقيقة عن المسائل المختلفة
بين اهل القبلة الى غير ذلك مما يطول تفصيله فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب
حتى يتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا
ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما
نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب
عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء
بالانبياء في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه
ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي تفصيلها مذكورة في موضعها وبالتعلم وهذه هي العلوم
التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها اهله الا مع اهله وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا
لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله لم يحقره اذ اتاه
فان قلت قد علمت علم الآخرة فمن علماء الآخرة وما علماء السوء فاعلم انه قد ورد في علماء السوء
تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة

العلامة

الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم
بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا
وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا
يتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل
ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا
فهذا وغيره يدل على عظم الخطر العالم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد
بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر ان اخوف ما اخاف على هذه الامة
المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما فقال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال
الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل
لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم
بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما
عند الموت فعالم مفرط وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم
فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به
الدنيا وانشدوا عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين اعجب وقال
الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العالم يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة

١ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت
آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقال الله تعالى في فتنة بلعم بن باعورا
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه حتى قال
فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكذلك العالم الفاجر فان باعم
اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات وقال عيسى مثل العلماء السوء مثل قناة الحش
ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها
عظام الموتى وهذه الادلة تبين ان الفائزين هم علماء الآخرة ولهم علامات
فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل الدرجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها
وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها و
يعلم انهما كالضرتين مهما ارضيت احدهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان
مهما رجحت احدهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من
احدهما بعدت من الآخر وانهما كقدحين احدهما مملوء فبقدر ما تصب منه
في الآخر يفرغ من الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها
ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك
فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر

مسلوب الايمان فكيف يكون مقدرا عند اهل الايمان من لا ايمان له ومن يعلم مضادة
الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم بل
هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله
ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود ان ادنى ما اصنع با
لعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني
عالما قد اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على
عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا
ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب
وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا
فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وكان يحيى بن معاذ الرازي
يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية
واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم
شيطانية فاين المحمدية وانشدوا وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة
لها ذئاب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد ولا
تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال وروى
ابو هريرة انه عليه السلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا

من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى العلماء السوء باكل الدنيا بالعلم
ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
وقال في علماء الآخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لهم اجرهم
عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة
السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء
انه عليه السلام قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين
ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش
وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون
وبي يستهزؤن لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علماء هذه الامة رجلان فرجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم
يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب
الارض والكرام الكاتبين يقدم على الله تعالى يوم القيمة سيدا شريفا حتى يرافق
المرسلين ورجل اتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله واخذ عليه
طمعا واشترى به ثمنا يأتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي على رؤس
الاشهاد هذا فلان بن فلان اتاه الله العلم فضن عباد الله واخذ به طمعا واشترى
به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا كان
يخدم موسى عليه السلام

فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى
اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل
ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا
قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسألك ان ترده الى حاله حتى اسأله فيما
اصابه فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن
اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذه قد وردت
فلا نطول بايراده فان الله لا يقبل الا ما كان خالصا لقوله الا لله الدين الخالص
وقال عليه السلام لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى
اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة
الى النصيحة ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يقول ولا يأمر بالشيء ما لم يكن
هو اول عامل به وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام تقرض شفاههم
بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال الاوزاعي
شكت النواويس الى ربها ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء
السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم
القيمة قبل عبدة الاوثان وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار
فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم
فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل

علم

علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار
ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا
وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تأتيها وقيل
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وروى مكحول عن
عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس
العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم
الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت
في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم
القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس عظيم
فيتبعونه على زلته وقال عمر اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث تهدم
الزمان احدهن زلة عالم وقال ابن مسعود سيأتي على الناس زمان تملح فيه
عذوبة القلب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل
السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت
قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة
ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين يلقاك انه يخشى الله بلسانه
والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو
ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا
علم ما لم تعلموا

حتى تعلم ما علمته وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا
ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون ويؤثرون
الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون
على العلم كما يتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جلس غيره
اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم
فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم
قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل لي المتعبد
رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول
لكم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل
به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم الخشية وقال صلى الله عليه وسلم مما اخاف على امتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن
وينبغي ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة
متجنبا عن العلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من
يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد
صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية
العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض
السفه بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ
شقيق البلخي

انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما تعلمت
مني في هذه المدة فقال ثمان مسائل فقال شقيق انا لله وانا اليه راجعون
ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا
احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان المسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت
الى هذا الخلق فرأيت لكل واحد محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر
فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال
احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى
حتى استقرت على طاعة الله الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء
له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما
عند الله باق فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده الرابعة
اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت
فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى
اكون عند الله كريما الخامسة اني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعنون بعضهم في بعض و
يلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت
عداوة الخلق عني السادسة اني نظرت ~~ان القسم من عند الله وتركت عداوة~~ الى هذا الخلق
يبغي بعضهم على بعض ويقاتل

ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لي
فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة
فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها
فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت ما لي عنده الثامنة اني نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين
هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل
على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه فهو حسبي قال
شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التوريت والانجيل والزبور والفرقان العظيم وهو
تدور على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن
من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما
يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الانبياء عليهم وقال الضحاك
بن مزاحم ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها
ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر
الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع ذلك وكلما ازداد
الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي
عن ابي عبد الله الخواص قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج و
عليهم الزرمانقات

وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين
فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها
لنا وهو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا
ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جينا الى الباب فاذا
هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم في
الدخول فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة وستور وبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا
الى المجلس الواسع الذي هو فيه واذا بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام و
بيده مذبة فقعد الزائر وسال وحاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا
اجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم فقال فما هي قال مسئلة اسئلك عنها قال سلني قال
قم فاستو حتى اسئلك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته فقال الثقات حدثوني
به قال الثقات عن من قال عن اصحاب رسول الله قال اصحاب رسول الله عمن قال عن
رسول الله قال رسول الله عمن قال عن جبرائيل قال عمن جبرائيل قال عن الله قال حاتم
ففيما اداه جبرائيل عن الله الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات
واداه الثقات اليك هل سمعت في ذلك العلم من كان في داره اميرا وكانت سعتها
اكثر كان له عند الله المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا
ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة قال حاتم فانت
بمن اقتديت ابالنبي واصحابه الصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر

يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل
الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه
فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدا
ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضا للصلوة فقال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه
ماء فاتي به فقعد الطنافسي فتوضا ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضا قال حاتم ثم اقعد
مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا
ثم غسل الذراعين اربعا فقال الطنافسي له يا هذا اسرفت قال له فيماذا قال غسلت
ذراعيك اربعا قال له حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله
لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين
يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن
عجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظفر على خصمي افرح
اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا تجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن
حنبل فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن
ما السلامة في الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك اربع خصال تغفر
للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم ايسا فاذا كنت هكذا
سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل مدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا

مدينة رسول الله قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما
كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم
بيوت لاطئة بالارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى
السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالي ولم ذلك قال
لا تعجل علي فانا رجل غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذا فقالوا مدينة
الرسول فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله ام بفرعون اول من بنى
بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم ولعل الحال سيرة السلف في
البذاذة وترك التجمل والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض
فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة
اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعات الخلق
ومراءاتهم وامور اخر هي محظورة وحرام محض والحزم في الاجتناب عن ذلك لان من
خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم
لا يبالغ في ترك الدنيا فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف و
الخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر
ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم
سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه وان الدنيا حلوة خضرة وزمامها

بالسلاطين والمخالطة لهم عن تلطف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم
ظلمة ويجب على ... الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح
فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او
يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين
حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت الحرام
وعلى الجملة مخالطتهم مفتاح الشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط والتحقيق
في هذا يقتضي تفصيلا فاعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة
الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة
وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم
وهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار
فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه
الفتوى في ظاهر العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم
او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي
امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه
ولم يرد على الحوض وقال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان
افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد
برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال صلى

الكنا ... تفسير قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من
دون الله من اولياء ثم لا تنصرون النهي يتناول الانحطاط في هواهم
والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا
باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه
تعظيم لهم وتامل قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي الذين وجد
منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا
بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم
فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب اخ له في الدين اليه عافانا
الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك
الله ويرحمك فقد اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى
لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك
انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا
حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك
الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون
بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا
منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال فيهم فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل والمغفل عليك
من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما
يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا
القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا
وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن
ظالم على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت
وما لكم من دون الله من اولياء معناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم
من عذابه ثم لا ينصركم هو الله هنا كلام صاحب الكشاف وقال عليه السلام العلماء امناء الرسل
على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان واذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم
رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من يأخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون
قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا قليل
قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال صلى الله عليه وسلم شرار
العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقي
من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار
جهنم بعدد خطواته وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال
انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت

اذ ما دخلت قط على السلاطين الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فاري عليها
الدرك فانتم تعرفون ما اوجههم به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواهم
ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال
وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق
هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلوه وكرهوا دخولهم عليه وكان
ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلطان فانك لا تصيب
من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة
للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان
في وعظك ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان
الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض
في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا
فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى
الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله فكتب اليه اما
اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون
شرفهم ان يدنسوه بالخيانة وهذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط
اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن
والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا

من اهل مكة والشام انما ميلهم الى الدنيا ومخالطتهم السلاطين وقال عبادة بن الصامت

حب القاري الناسك للامرآء نفاق وحبه للاغنياء ريآء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم

فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان

ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن

عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شي يسير

فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا فهذه الاخبار والاثار تدل

على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا

فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان

يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد

هذه الامور واما بالفعل فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها

والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القايل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة

او كسرة خبز فان ذلك في غير المغصوب اما المغصوب فلا وان فرض الظالم في موضع

غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه

غير جايز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول من

حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قايما في سلامه وخدمته

كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي الة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع

لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع

للظالم فلا يباح الا مجرد السلام

كالشيخ والعالم

فاما تقبيل

فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا عند خوف القتل او الضرب الشديد

او السجن او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني فقبل ابو عبيدة بن الجراح

يد عمر رضي الله عنهما لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه فقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم

في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب

ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على

السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم اذ كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فراشهم

وبساطهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير

واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت

عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت

عن جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب واكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت

والسكوت على ذلك غير جايز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله

فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض

نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة

حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا نقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا

يجوز له ان يحضر ليجري بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته

اما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك

راسه وباستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقايه والحرص على طول

عمره وبقايه فانه في الغالب

لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما دعاوه فلا ينبغي له الا ان يقول

اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما

الدعا بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة والخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز قال النبي صلى الله عليه وسلم

من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعا الى الثنا فيذكر ما ليس

فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلث معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم

ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الدين

الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق

وبالاعانة فان التزكية والثنا اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب

والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو

بشطر كلمة ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة

ما فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان يثوب اليه نفسه

ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا

عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقا الظالم وحقه ان

يبغضه الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن

احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاص من حيث

انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب

ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر ومن اراد ان يعلم ثواب الحب في

الله والبغض في الله

ووجه الجمع بينهما في شخص واحد ومراتب من يحب لله ويبغض في الله فعليه بكتاب

الاخوة فان من طلب شيا وجد وجد فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد

يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحما

نهي رسول الله حيث قال يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة

للرزق هذا مع ما فيه من اقتدا غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله

اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات دعي سعيد بن

المسيب رحمه الله الى البيعة للوليد وسليمان بن عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين

ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب

واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح

فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما ان يكون من جهتهم امر الزام لا اكرام وعلم

انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فيجب عليه الاجابة

مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب الولاية الثاني ان يدخل عليهم في دفع ظلم

عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة

بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول

الحالة الثانية ان يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لا بد منه

واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه باكرام العلم والدين مستحق

للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى

ان لا يقوم ان كان

معه في خلوة ليظهر له عز الدين وحقارة الظلم ويظهر له غضبه للدين واعراضه
عن اغراضه لتحريك داعية الدين منه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا باس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث
فسادا في الرعية ولا يناله اذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد
ان وقع اللقاء ان ينصحه فان كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف
فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه
بل يجب عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه ان يرشده
الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم
من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذا يجب عليه التعريف
في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه
عن الظلم فهذه ثلثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيه اثرا وهو ايضا لازم على كل من
اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر روي عن محمد بن صالح قال كنت عند
حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب
فيه علمه ومطهرة يتوضا فيه فبينا انا عنده اذ دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان
فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا فقال حماد
لانه عليه السلام قال ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء فان اراد ان يكنز به
الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها
قال اردها على

من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا مما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتقسمها
قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم
فازوها عني الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة
الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر
عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك
اذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد
اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون
في اليوم كما قال ابو الدرداء اذ قال اهل الاموال ياكلون وناكل ويشربون ونشرب ويلبسون
ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها فننظر معهم وعليهم حسابها ونحن براء
وكل من احاط علمه بظلم ظالم او معصية عاص فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه
فهذا فرض عليه لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية
ينبغي ان تكره فانه اما ان يغفل عنها او يرضى بها او يكرهه فلا غفلة مع العلم ولا وجه
للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل احد على حق الله كجنايته على حقك فان قلت
الكراهة لا يدخل تحت الاختيار فكيف يجب قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع
ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله فهو لا يحب الله وانما
لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما كرهه
واحب ما احبه وقد ذكرنا تحقيقه في كتاب المحبة والرضا فان قلت فقد كان بعض
السلف يدخلون

حلمهم فاقول نعم تعلم الدخول عليهم ثم ادخل سفيان الثوري على ابي جعفر بمنى فقال
ارفع الينا حاجتك فقال له اتق الله قد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه
ثم رفعه وقال ارفع الينا حاجتك قال انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار
وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ راسه ثم رفعه
وقال ارفع الينا حاجتك فقال حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال
بضعة عشر درهما فارى ههنا اموالا لا تطيقها الجمال فهكذا كانوا يدخلون
على السلاطين اذا الزموا او دخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال
ايها الامير قرأت في بعض الكتب من احمق من السلطان [illegible] ومن اجهل
ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا
فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري
ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الادخار لما
في ايدينا وهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين واما الآن فيدخلون ليتقربوا
الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق
اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الا صلاح بل اكتساب
الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصده
في الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم
شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح

انه لو تولى ذلك الوعظ

غيره ممن هو من اقرانه ووقع موقع القبول وظهر اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله
على كفايته هذا المهم فان كان يصادف ترجيحا للحلاوة في قلبه فهو مغرور والثاني ان يزعم
انه اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم
ذكره مسألة اذا بعث السلطان الى عالم مالا حلالا يجوز اخذه ان امن عن غائلتين
الاولى ان يقتدى به ويستدل به على جواز اخذه مطلقا فالمقتدي والمتشبه به ينبغي
ان يحترز من هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير والثانية ان
يتحرك قلبه لمحبته فان ذلك هو السم القاتل قال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر
عندي يدا فتحبه قلبي بين عليه السلام ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك فانه اذا احبه
احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب اسباب
الظلم قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية وبهذا يتبين ان اخذ المال الآن منهم وان كان
ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لانه لا ينفك عن هذه الغوائل مسألة
المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فان ادى الثمن من حلال فيبقى
النظر في المعوض فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم يلبسونه
فذلك حرام وان امكن ان يلبس نساؤهم فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه
من الاموال في معناه بيع الفرس منهم لاسيما وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او
جباية اموالهم وان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة وكذلك القوس والنشاب والترس

وما بعدها وانما

مالا يعصى به عينه كالنقود فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم فانهم يستعينون على
الظلم بالاموال والدواب وسائر الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل
لهم من غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم
القران فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب
وكيلا لهم يشترى لهم في السوق من غير جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة
وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للبس والفرس
للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمتاع حصل التحريم
ومهما لم يظهر واحتمل حصلت الكراهة مسئلة الاسواق التي بنوها بالمال الحرام
تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي
لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناها وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا
اخرى فالاولى الشراء منها فان ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكراء حوانيتهم مسئلة معاملة
قضاتهم وعمالهم وخدمهم اشد من معاملتهم اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم
الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون
بهم ويقتدى بهم فيهم بسبب انقياد الخلق اليهم واما خدمهم فظاهر قال طاوس
لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت
الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء
لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم قال صلى الله عليه وسلم لا تزال هذه الامة تحت يد الله
وكنفه ما لم يمال قراؤها

امراءها

امراءها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان علمهم بالقران ومعانيه المفهومة
بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من
يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة
بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان النبي عليه السلام لعن في الخمر عشرة وقال ابن
مسعود اكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد وامتنع سفيان
من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى اعلم ما تكتب به فكل من حواليهم
من خدمهم ظلمة يجب بغضهم في الله جميعا وكانوا يتصامون اذا سالوا عن الطريق خوفا
لئلا يكونوا متوجهين الى ظلم فيكون هو بارشاده معينا فهذا حكمهم وحكم من تزيا
بزيهم اذ لا يتشبه بالفساق الا فاسق وليس للصالح ان يتشبه باهل الفساد لانه
تكثير لسوادهم مسئلة المواضع التي بناها الظلمة ينبغي ان يحتاط فيها وينظر كالقناطر والرباطات
والمساجد والسقاية اما القنطرة اذا عرف ان الاجر والحجر قد نقل من معين فلا يحل
العبور واما المسجد فان بني في ارض مغصوبة او خشب مغصوب من موضع او مالك
معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول
الى مسجد اخر ان وجد فان لم يجد فلا يترك الجمعة والجماعة به لانه محتمل وكذلك حكم السقاية
والبوادي وهذه الابنية ان كانت من خيم السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف
الاموال الضايعة الى المصالح ولان الحرام اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح
وانما يجوز ذلك للسلاطين وارباب المرسلة الارض المغصوبة اذا جعلت شوارع
لم يجز ان يتخطى البتة

والكم يكن له مالك معين جاز والورع العدول ان امكن وان كان الشارع مباحا
وفوقه ساباط جاز العبور والجلوس تحته على وجه لا تشفع به فان انتفع به في دفع
حر الشمس او اتقاء المطر او غيره فهو حرام لانه انتفاع بالحرام والانتفاع بالحرام حرام
ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص
سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او اجماع او قياس
جلي افتى وان سئل عما شك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر
الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي
لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف
بالجهل اشد على النفس وهكذا كان عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سئل عن
الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال ابن حصين
ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وقال بعضهم
انما العالم الذي اذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون
ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة
بكى ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع
وشرها قال لا ادري حتى نزل جبرايل عليه السلام فساله فقال لا ادري حتى اعلمه الله ان
خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان في الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول
ادري منهم سفيان

الاسواق نخ

الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث
وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
منهم من احد يسئل عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر
كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر حتى تعود الى الاول
وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوية وهم في غاية الضر فاهداه
الى الاخر واهدى الاخر الى الاخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس
امر العلماء فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه وكان شغل الصحابة
والتابعين في خمسة اشياء قراءة القران وعمارة المساجد وذكر الله والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثا
امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الاية ومنها
ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه
وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة
في دقايق علوم القلوب وتنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك
بل العلوم الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة
الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر
والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف وكم من متعلم طال
تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر
على العمل ومراقبة القلب

فتح الله له من لطايف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا
العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي
به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا لي باخلاق
الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم ولولا ان ادراك من القلب بنور
الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه واذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها الحديث وكم من معاني دقيقة
من اسرار القران تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع
عليها افاضل المفسرين فاذا انكشف ذلك للمراقب وعرضوا على المفسرين استحسنوه
واخلو في تفاسيرهم وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف بالهمم
المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقايق خواطر
القلوب فان لكل علم من هذه العلوم بحرا لا يدرك عمقه وانما يخوض فيه كل طالب بقدر
ما رزق له من حسن العمل وفي وصف هولاء العلما قال علي رضي الله عنه في حديث طويل
القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاث عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة و
همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن
وثيق العلم خير من المال يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه
النفقة ومحبة العلم

دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال
محكوم عليه ومنفعة المال يزول بزواله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء
باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا فقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة
بل اجد طالبا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
على اوليايه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه
باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سلس
القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا للهوى اقرب
شبها بهم الانعام السايمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قايم
لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خايف مقهور لئلا يبطل حجج الله وبيناته وكم واين
اوليك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة
يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم
العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون
وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل
الاعلى اوليك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه
الى رويتهم فهذا الذي ذكره آخرا هو وصف علماء الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره
من العمل والمواظبة على المجاهدة فان قلت فما مراقبة القلب والمجاهدة قلت المراقبة
حالة يثمرها نوع من المعرفة ويثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي
مراعاة القلب

للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه اليه واما المعرفة التي تثمر
هذه الحالة فهي العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم
على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف
بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها خلت عن الشك ثم اذا
استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استجرت القلب الى مراعات جانب الرقيب
وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين
والى اصحاب اليمين اما الصديقون فمراقبتهم مراقبة التعظيم والاجلال وهي
ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة ولا يبقى
فيه متسع بالالتفات الى الغير اصلا ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى
لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر على
على ابيه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم تجري عليه ذلك فقيل لمن عاتبه اذا مررت فحركني
وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه ساير الهموم ولا يستبعد هذا فانك تجد
نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض بل قد يشتغل بمهم له حقير من مهمات
الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وينسى الشغل
الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله
عن الخلق فقال ما اعرفه الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل
حتى دخل عتبة الغلام فقال عبد الواحد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان

طريقه على السوق

فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا ومر يحيى بن زكريا بامراة فدفعها فسقطت
على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم
انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيد منهم فتقدمت اليه فاردت ان
اكلمه فقال ذكر الله اشهى فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق
من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال اكثر
خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا منه
وقال ابن خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال عيسى بن
يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة
فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت على صور وانا جايع عطشان
وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شي فدخلت المسجد فاذا انا بشخصين قاعدين مستقبلي
القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت بالله
تعالى الا رددتما علي السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته ونظر الي وقال يا ابن خفيف
الدنيا قليل وما بقي من القليل الا القليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل
شغلك حتى تتفرغ الى لقائنا فاخذ بكليتي فنظر الي ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما
حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر
قلت عظني فرفع راسه وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة
فبقيت عندهما ثلثة ايام لا آكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان
في اليوم الثالث

قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما فرفع الشاب راسه وقال يا ابن خفيف
عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله
ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجات المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال
والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها
فانها مقصورة على القلب واما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا
عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت
في حفظها على سنن السداد فان القلب اذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة
جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف واما اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين
اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت
قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال
لا تخلو من المراقبة نعم غلب عليهم الحيا من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت
فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم يرون ان الله في الدنيا انه مطلع عليهم
فلا يحتاجون الى انتظار القيمة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك
قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه يطلع عليك فتستحي منه فتحسن
جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كان لا تدهشك
ولا تستغرقك فانه تهيج الحيا منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر
فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب
العباد في مراقبة الله تعالى

ومن كان من اصحاب اليمين فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته
وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل واما قبل
العمل فلينظر الى ما ظهر له وتحرك لفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس
ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان
كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيا من الله تعالى وانكف عنه ثم لام نفسه
على رغبته فيه وهمه به وميله اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة
نفسها ان لم يداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان
واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة
من حركاته وان صغرت ثلث دواوين الديوان الاول لم والديوان الثاني
كيف والديوان الثالث لمن معنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله
لمولاك او ملت اليه لشهوتك وهواك فان سلم عنه سئل عن الديوان الثاني فقيل
كيف فعلت فان لله في كل عمل شرطا وحكما ولا يدرك قدره ووقته وصفته
الا بعلم فيقال له كيف فعلته ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر
الديوان الثالث وهو مطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت هذا الوجه الله تعالى
خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراياة خلق مثلك فخذ
اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملته
سهوا وغفلة فقد حبط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت
لغيري فقد استوجبت مقتي

وعقلي ان تسخر بي [illegible] في الرزق وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري [illegible]

الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق الاية

وتحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبة

والتوبيخ طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسوال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي

ولا يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال عليه السلام

لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه

وقال الحسن رحمه الله رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله امضى فان كان عليه تاخر وكان

في حديث سعد حين اوصاه سلمان اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي

ان المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول

في المراقبة ولا تخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال

واغوار النفس ومكايد الشيطان ومن لم يعرف نفسه وربه وعدوه الشيطان

ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمه وفكره

وسكونه وحركته فلا يسلم من هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما

يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولا تظنن ان الجاهل

بما يقدر على التعلم يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت

ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم افات النفوس ومكايد

الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك فالجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه

فلا يزا

فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجاهل والغفلة

فهو راس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه

بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم والسعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله

فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة

الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث

جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي الا ان

تحسم مادة القصد للشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه

ومهما اشكل على العبد الامر واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم

ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر

بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان

بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك

عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره

والتكالب عليها محجوبة عن نور الله فان مستضاء انوار القلوب حضرة الربوبية

فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها

ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم

او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة

فيها وقد قال عليه السلام ان الله يحب البصير النافذ عند ورود الشبهات والعقل

الكل الا عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما مثلا لازمان [illegible]
وازح من الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام من قارف ذنبا
فارقه عقل لا يعود اليه ابدا فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الآدمي به حتى يعمد
الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال فذلك درست في هذه
الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومة
في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه واخرجوا هذا العلم
الذي هو الفقه في الدين من جملة العلوم وجرد والفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل
عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين وكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه
فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم
ان الله تعالى اخرج آدم عليه السلام من التراب واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء
دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم العرض ثم الى الجنة
والى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد
ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل
الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة
الى السلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه
هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا
بحكم الشهوات وكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق

وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين
ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الا بالدنيا والملك
والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس
له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومة
بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك الفقه فان قلت هذا ان استقام لك
في احكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم لك في عبادات
من الصلوة والصيام ولا في المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان ما يتكلم
الفقيه فيه من الاعمال الآخرة ثلثة الاسلام وليس يلتفت فيه الا الى اللسان والصلوة
فيفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع
صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير
وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كثير النفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع
ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع عنه القتل
والتعزير واما الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا
يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه واما الزكوة فينظر فيها الى ما يقطع
عنه مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته
ولا بد من شروط القرآن من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي

ولا يؤمن بالله واليوم الآخر الآية

يعني ما له رياء الناس وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما
أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه
وشروط الحديث من طيب النفس وابتغاء مرضات الله وغير ذلك وأما الحلال والحرام
فالورع منه من الدين بل هو أساس العبادات كلها ولكن الورع من الحرام أربع مقامات الأول
الورع الذي شرط في عدالة الشهادة وهو الورع عن الحرام الذي يخرج بتركه الإنسان
عن أهلية الشهادات والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر والفقيه لا يبحث
إلا فيما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك فإذا جميع نظر الفقيه
مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة وقد كان سفيان الثوري وهو
إمام في علم الظاهر يقول ليس هذا من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا
على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم اللعان والظهار والسلم
والإجارة والصرف والديات والقسامة والشجاج والسبق والرمي ومن تعلم
هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله فهو مجنون ولقد كان الفقه اسما في العصر الأول
مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال
وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء
الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وما يحصل به الإنذار والتحذير والتخويف

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

هو هذا

هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والإجارة
فذلك لا يحصل به إنذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب
وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقوله النبي عليه السلام من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين وقول أبي حنيفة رحمة الله عليه الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها
وسأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن
ثكلتك أمك وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير
بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم
الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتوى ولست أقول إن اسم الفقه
لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم وكان
إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فخصصوا بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى
والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام وحفظ المقالات المتعلقة بها ونقلوا
بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراد السلف الصالح والقرن الأول كما
بدلوا الفقه العلم والتوحيد والتذكير والحكمة فثار من هذا التخصيص تلبيس
بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة ووجدوا على ذلك معينا من الطبع
فإن علم الآخرة غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء
والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلب بواسطة
تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع وكذلك الحكمة هي التي الله

عليهما قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلام
كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه
وإلى ماذا انتقل واحترز عن الاغترار بتلبيسات العلماء السوء فإن شرهم أعظم
على الدين من شر الشيطان إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين
من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى فقال اللهم
غفرا حتى كرروا عليه فقال هم العلماء السوء وعن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا رسمه ولا من القرآن
إلا رسمه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء
من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود رواه البيهقي في شعب الإيمان فقد ما ارتضاه
السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع محدث وقد صح قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ
فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس
من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما أنتم
عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم
أكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك
قال الثوري إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق
بالحق أبغضوه بل السبب في إقبال الخلق على هذه العلوم هو أن الخلافة بعد رسول
صلى الله عليه وسلم

الخلفاء الراشدين أفضت إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال
بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم
في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين
من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف
فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا واضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية
القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة
عليهم مع إعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز
ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتوى وعرضوا أنفسهم على
الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من
أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء
بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين
أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه الله في كل عصر من علماء الدين وقد كان أكثر الإقبال
في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليه في الولايات
والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس
في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلم رغبته إلى المناظرة
والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وسموه علم التوحيد وأصول
الدين وأكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا

يتعلمون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع البدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشئة المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم والفوا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الاعصار والاوقات فلو مالت نفوس ارباب الدنيا الى خلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطالب لهم سوى التقرب الى رب العالمين ومن عليه فرض عين واشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجر في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي ان استر عورة من يصلي عريانا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النادر التي عليها المباحثة ممكن والمشتغلون به يهملون امورا هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كونه فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب بل في البلد فروض كفايات اهم منه ولا قائم بها ولا ملتفت

اليها ولا يشتغلون بها كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما يرى الفقيه حريرا ملبوسا او مفروشا وهو ساكت يباحث في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه متقرب الى الله بفرض الكفاية فكن احد الرجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت مشغولا بنفسك ولا تشتغل الا بعلم الذي هو فرض عين عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق بالاعمال وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات فان كنت مريدا للآخرة وطالب النجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها ثم يتجر ذلك الى المقامات المحمودة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين فان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا وعادة متيسرة فيك فاشتغل بفروض الكفايات والعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا

بعد

والمقبلون عليها وانما مسعد نفسه وغيره وهم الراغبون الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا
وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا
في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت
وان اشتغل بالاعتزال ولا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه من العلم
والعمل وطالب الرياسة في نيته هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك
الدنيا وذلك فيما كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف لكنه يضمر قصد الجاه فمثاله
الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره واما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله
النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فقد تبين لك ان الاهم معرفة آفات النفوس
ومكايد الشيطان ومواضع الغرور وآفات الاعمال وقد اندرست ذلك في هذه الاعصار ولا
ينبغي ان تخوض في امر حتى يتبين ويعلم ذلك بنور العلم علماء الآخرة ايدهم الله امين ولا من
خاض شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقوله صلى الله عليه وسلم
اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام
قلبه في ما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان الصديق رضي الله عنه
يقول في دعائه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه
ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى فاذا النظر الاول المراقبة نظر انما هم وحركة
اهي لله ام للهوى وقد قال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم
ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واظهر ما يكلف
له في حركاته ادب يكون

لها فكل ما لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
النظر الثاني المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله
فيه وتحسين النية في اتمامه وتكميل صورته ويتعاطاه اكمل ما يمكنه وهذا ملازم
له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله في جميع ذلك
قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية ومراعاة الادب وحسن الفعل فان كان قاعدا
مثلا فينبغي ان يقعد مستقبلا للقبلة لقوله عليه السلام خير المجالس ما استقبل
به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا تجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه وان كان
نام فينام على الشق اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها
بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاة آدابها وفاء بالمراقبة فاذا لا يخلو العبد اما ان يكون
في طاعة او في معصية او في مباح فمراقبته في الطاعة الاخلاص والاكمال ومراعاة الادب
وحراسته عن الآفات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال
بالتكفير ومراقبته في المباح مراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو
العبد في جميع احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد من الشكر عليها
وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض عليه اما فعل يلزمه مباشرته
او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد
الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه ومنزله عونا له على طاعة الله ولكل واحد من ذلك
حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد
نفسه في جميع اوقاته

في هذه الاقسام الثلاث فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي ان
يلتمس افضل الاعمال ليشتغل به فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو
مغبون والارباح تنال بمزايا الفضايل فبذلك ياخذ العبد من دنياه لاخرته كما قال
الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات
ثلثة ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة
مستقبلة لم تات بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله عليها وساعة
راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تاته الساعة الثانية لم يتحسر
على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاول
ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته ولعله
اخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون اخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان
يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر
رضي الله عنه في قوله عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او
لذة في غير محرم وبمعناه قال علي رضي الله عنه على العاقل ان يكون له اربع ساعات
ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى عليه وساعة
يخلو فيها للمطعم والمشرب فان هذه الساعة عون له على بقية الساعات ثم هذه
الساعة لا ينبغي ان تخلو عن عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام
الذي يتناوله مثلا فيه من العجايب ما لو تفكر وفطن له كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح
والناس فيه اقسام قسم

ينظرون فيها بعين البصيرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعها وكيفية ارتباط قوام
الحيوانات بها وكيفية تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الالات
المسخرة للشهوة فيها كما فصل بعضها في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم
ينظرون فيها بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودون لو
استغنوا عنها ولكنهم يرون انفسهم فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين و
قسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فتكون مشاهدة
ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر ينفتح عليهم بسببه وهو اعلى المقامات وهو مقامات
العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي
الصنعة واستقبل قلبه بالصانع وقسم رابع ينظرون اليها بعين الرغبة والحرص
فيتاسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها ويذمون منها ما لا يوافق
هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون ان الفاعل
للطبيخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن
فقد ذم الله فهذه هي المراقبة للاعمال على الدوام وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه
على المنهاج لمن احكم الاصول واما المجاهدة فهو ان العبد بعد ما حاسب نفسه فراها
قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات وان راها تتوانى بحكم الكسل في
شيء من الفضايل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها
فنونا من الوظايف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهذا انما يكون بعد المحاسبة وهي ان

تحاسب نفسها آخر النهار ساعة على جميع حركاتها وسكناتها فيحاسب اولا على الفرائض
فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وان فوتها طالبها بالقضاء
وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها
وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما انه يفتش في حساب الدنيا
عن الحبة والقيراط ان ينفي خبيئة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة
فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره فليتكفل بنفسه من الحساب
ما يستولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده
واكله وشربه ونومه وحتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرف مجموع
الواجب على النفس وصح عنده قدر اداء الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي
عليه فليثبته عليه ويكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة
ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها
برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز
الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي
ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة
والباطنة كما نقل عن ابن الصمة انه حاسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا
هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا القى المليك باحد وعشرين الف
ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك
ركضة الى الفردوس الاعلى

وهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعن المعصية بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد
بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظ
والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه ثم مهما حاسب فلم يسلم عن مقارفة
معصية وارتكاب تقصير في حق الله لا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة
المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها
فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب النفس بالجوع واذا نظر الى غير محرم
ينبغي ان يعاقب النفس بمنع النظر وكذلك يعاقب كل عضو من اعضائه بمنعه عن شهواته
ونظر بعض السلف نظرة واحدة الى امرأة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد
طول حياته وكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش وحكي ان حسان بن
ابي سنان مر بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال تسألين عما لا يعنيك
لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وحكي ان تميم الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة
لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان
يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت يوم كذا وكذا ورأى محمد بن
بشر داود الطائي عند افطاره وهو يأكل خبزا بغير ملح فقال لو اكلت بملح فقال
ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة
اولي الحزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم
من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم من الاختيار وبغوا
عليك ثم تهمل نفسك

وهي اعظم عداوة لك واشد ضررا عليك وضررك منها اعظم من ضرر كل احد فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتي الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة النفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت لا تطاوعني نفسي على المجاهدة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ احواله وتقتدي به الا ان هذا قد تعذر اذ قد فقد في عباد الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان تعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوة مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه ابد الآباد ونعوذ بالله منه ونحن نورد من اوصاف المجتهدين والعاملين ما يحرك به رغبة المريد في الاجتهاد

والاقتداء بهم في هذا الكتاب ان شاء الله فقد قال عليه السلام رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة قال الله عز وجل والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله قال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطؤونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم فسألوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال سألتك بالله الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم الاصفهاني كان داود

القائل يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية وكان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه وكانوا يقولون
يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال ثابت
البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي فيعجز حتى ما ياتي على فراشه الا حبوا قال رجل من
اصحاب علي كرم الله وجهه صليت خلف علي الفجر فلما سلم انفتل على يمينه وعليه كآبة
فمكث حتى طلع الشمس ثم قلب يده وقال والله رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا
يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون
بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم
حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن
بن الاسود حاجا اعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحد حتى يصلي الفجر
بوضوء العشاء وقال علي بن ابي طالب سيماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش
العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وعن القاسم
الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم
ويصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون
اكل هذا الليل ترقدون الا تقومون فترحلون فيتواثبون ويسمع من ههنا
باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى
باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقد
انشدوا فيهم

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد تراه بقمة او بطن واد [illegible]
يكد نفسه في صفو الرقاد فان هاجت مخاوفه وزادت فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم كثير الصفح عن زلل العباد وانشد بعضهم [illegible]
بالغواني اذا اقبلن في حلل حسان [illegible]
ليحمل ذكره ويعيش فردا ويحظى في العبادة بالاماني تلذذه التلاوة اين ولى
وذكر بالفؤاد وباللسان وعند الموت ياتيه بشير يبشره بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان وكان كرز بن وبرة يختم
القرآن في كل يوم ثلث مرات ويجاهد نفسه في العبادة غاية المجاهدة فقيل له قد
اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل
خمسون الف سنة فقال يعجز احدكم ان يعمل سبعة الاف يوم حتى يامن من ذلك يوم
الذي مقداره خمسين الف سنة لكان ذلك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فالعمر
قصير والاخرة لا غاية لها وهكذا كانت سيرة السلف الصالحين فمهما تمردت نفسك
عليك وامتنعت من المجاهدة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم
فان لم يكن ابل فمعزا وخير نفسك بالاقتداء بهم وهم العقلاء والحكماء وذو البصائر في
الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى لها ان تنخرط في سلك
الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان حدثتك نفسك ان هؤلاء
رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات وقل لها انستنكفين
يا نفس ان تكوني اقل من امراة

فاخبرني بوجه بعينه عن امراة في امر دينها كانت حبيبة العدوية اذا صلت
العتمة قامت على سطح لها وشدت درعها وخمارها ثم قالت الهي قد غارت النجوم
ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك
ثم تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار
قد اسفر فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنا او رددتها علي فاعزى وعزتك
هذا دابي ودابك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحت لما وقع في نفسي من
جودك وكرمك قال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من
النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها
واقصرت عن هذه البكاء شيئا قال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك
او اقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله
لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا يبقى قطرة من دم في جارحة من
جوارحي واني لي بالبكاء فلم تزل تردد واني لي بالبكاء حتى غشي عليها قالت امراة من
المتعبدات رايت في نومي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت
فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي
زخرفت الجنان لقدومها ومن هذه المراة قال امة سوداء من اهل الابلة يقال لها
شعوانة قالت فقلت اختي والله قالت فبينا انا كذلك اذا اقبلت على نجيبة تطير بها
في الهواء فلما رايتها ناديت اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني
بك قالت فتبسمت الي

فقالت [illegible] حتى اشتهيت [illegible] على هول
وله يضرك من بيت وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا
وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا
هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي و
لكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه
لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام كانت بريهة متعبدة فكانت تكثر القراءة في
المصحف فلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها
من البكاء فعذلها بنو عمها في كثرة البكاء فقالت ان يكن لعيني عند الله خير فما
يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول
من هذا ثم اعرضت فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه وكانت معاذة
العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا
جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني
بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمت انا الى ناحية من البيت فلم
تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة
قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وقال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت
قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وكانت تصلي
قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر فشهقت ثم
قالت

[illegible] بنفسي [illegible] وددت [illegible] أقبل على

[illegible] فعليك إن كنت تنبها أن تكون من المجاهدين أن تطالع أحوال الرجال و

النساء من المجتهدين والمجتهدات ليبعث نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر

إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين

والمجتهدات غير محصورة فعليك بمطالعتها فإن حرنت نفسك بالنظر إلى

أهل زمانك وقالت إنما يتيسر الخير في ذلك الزمان بكثرة الأعوان والآن فإن خالفت

أهل زمانك رأوك مجنونا وسخروا منك فوافقهم فيما هم عليه ولا يجري عليك إلا

ما يجري عليهم وللمصيبة إذا عمت طابت فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع

بتزويرها وقل لها أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم

ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تفارقهم وتركبي سفينة

تنجو بها من الغرق فهل تختلج في قلبك أن المصيبة إذا عمت طابت أم تترك موافقتهم

وتستجهلهم في صنعهم فتأخذ حذرك مما دهاهم وإذا كان أهل النار يشغلهم شأنهم عن الالتفات

إلى العموم والخصوص فإن كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى

إلا ساعة فلم لا تهرب من عذاب الأبد وأنت متعرض له في كل حال ومن أين تطيب

المصيبة إذا عمت ولم يهلك الكفار إلا موافقة أهل زمانهم حيث قالوا إنا وجدنا

آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فعليك إذا اشتغلت بمعاتبة نفسك

وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها بسوء

نظرها لنفسها فعسا[illegible]

تنزجر عن طغيانها وهذا أيضا علاج المجاهدة [illegible]

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى

الشر فرارة عن الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر

إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فإن أهملتها

شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل

والملامة كانت نفسك من النفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها ورجوت أن تصير

المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن

ساعة من تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولا بوعظ

نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ

الناس وإلا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل

عليها فتقرر عندها جهلها وحماقتها وغباوتها فإنها أبدا تتعزز بفطنتها و

هدايتها ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها يا نفس

ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا

أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة إلى أحدهما على القرب فما لك

تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك

اليوم تختطفين أو غدا فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين أن كل

ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس هو بآت أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة

من غير تقديم رسول

ومن غير مواعدة ... في شتاء دون صيف وفي صيف دون شتاء ولا في
نهار دون ليلة ولا في ليل دون نهار ولا بالصبي دون شباب ولا في الشباب
دون الصبي بل ما من نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيها الموت فجاءة فان لم يكن الموت
فجاءة يكون المرض فجاءة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك
من كل قريب اما تدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما
ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا
نفس ان كانت جراءتك على معصية الله تعالى ان كان اعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما
اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك
لو واجهك عبد من عبيدك او اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك ومقتك له
فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين
عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة
في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك
ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك
لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل
في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا رهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما
لا ينقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل
فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثرك على كنز او يسلط عبدا من عبيده يحمل اليك
حاجتك من غير

سعيك وطلبك فتحسبين ان الله كريم في الاخرة ... ان بسنة الله التي
لا تبديل لها وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ومن
ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق
ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وقال في امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة
وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تكالب على طلبها تكالب المدهوش
المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر
ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك
الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت
وتخلصت وهيهات اتحسبين انك تتركين سدى الم تكن نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة
فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك
اما تتفكرين انه مما ذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم
اماتك فاقبرك افتكذبين به في قوله تعالى ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك
لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت
عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه اوكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى
في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبر عن حدس وظن مع نقصان عقل
وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة
ببرهان ودليل اكان قول الانبيا

والعقلاء ... من جملة الاغبياء او صار من جملتهم و
اختلا ... وثوابهما ومقامهما ... احق بذلك
من عقرب لا تحسن بالعهد الا يوما او اقل منه فما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف الغطاء
لحال لضحكوا منك وسخروا او عجبوا فان كنت قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك
تسوف بالعمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فهب انه اخرت
استعجال الاجل وهب انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظن ان من يطعم الدابة في حضيض
العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت
لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه
في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحك من عقله وظنه ان تفقيه النفس
مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا
على كرم الله سبحانه ثم هب ان الجهد في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل
اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغل فيه وان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة
وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب
والمشقة افتنتظر يوما يأتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله
قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا يكون المكاره خفيفة على
النفوس هذا محال وجوده اما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد
جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس
لا بل ما تعجزين عنه اليوم

فانت عن اعمالك عاجز ... ان الشهوة كالشجرة الراسخة ... فاذا عجز
عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها
الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا ووهنا
فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم
ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال
عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين
الى التسويف فما لك تدعين الحكمة وايه حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين
ما يمنعني من الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام و
المشقات فما احمقك واشد غباوتك وافحش اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي
التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك
الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما
قولك في عقل مريض اشار اليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا
بشربه طول العمر واخبره انه ان شرب مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه
طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة الصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول العمر
او يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلاثمائة
يوم وثلاثة الاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل
النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات
اعظم شدة واطول مدة

والا النار في دركات جهنم [illegible] تنبعثين على امر المجاهدة كيف يبطئون على الم عذاب
النار ما لك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او حمق جلي اما الكفر الخفي
فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب ومعرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما الحمق
الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين
على كرمه في لقمة من الخبز او حبة من المال وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرنك
الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا
تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة فاذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي
الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم
والحيوة قبل الموت واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها يا نفس اما تستعدين
للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والحطب واللبد والجبة وجميع الاسباب
ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب
فلا تعجزي عن ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا او اقصر مدة من زمهرير
الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يدفع برد الشتاء الا بالجبة
والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات
وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه
كما ان كرم الله تعالى

في دفع برد الشتاء ان يخلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد وحجر
حتى تدفع بها برد الشتاء عن نفسك كما ان شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك
ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك وطاعتك ومجاهدتك
ايضا هو مستغن عنها وانما هو طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء
فعليها والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما
بعثكم ولا خلقكم الا كنفس واحدة وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها
تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها
وانت مقبلة على مقارنتها وتؤكدين في نفسك مودتها فاحسبي انك غافلة عن
عقاب الله تعالى وثوابه وعن اهوال القيمة واحوالها افما انت مؤمنة بالموت المفرق بينك
وبين محابك افترين من دخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره الى وجه
مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطره لا محالة الى مفارقته اهو معدود من العقلاء
او من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار الملوك ومالك فيها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتاز
بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به
اما تعلمين ان المكب على ملاذ الدنيا والانس بها مع ان الموت من ورائه فانما
يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري اما تنظرين
الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما
تراهم كيف يجمعون ما لا ياكلون

ويبنون ما لا يسكنون [illegible] يبني كل واحد منهم قصرا الى جهة

السماء ومقبرة محفورة تحت الارض وهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر

احد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صائر اليها قطعا اما

تستحيين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسب انك ذا بصيرة تهتدين الى هذه الامور

وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل

المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين

من نفسك العقل والذكاء يا نفس ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك

كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يا نفس اسكرك حب الدنيا والجاه

واذهلك عن فهمها او ما تتفكرين في ان الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس

اليك فاحسب ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين سنة

لا تبقين انت ولا احد ممن على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر

من ذكرك كما ورد على الملوك الذين من قبلك وهل تحس منهم من احد او تسمع لهم

ركزا فكيف تبيع ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان بقي هذا ان كنت ملكا

من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب

وقد اتى الادبار شقاوتك ان يسلم لك امر محلتك فان كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة

في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها

عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها بعد اذ زهد فيك

كثيرها وما لك

الدنيا ان ساعدتك فلا بلدة [illegible] يتقدمونك بها

ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما

اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من

الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الآبدين لتكوني في صف النعال

من الحمقى الجاهلين اياما قلائل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا

والدين فبادري ويحك يا نفس قد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد

النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى

عنك ربك بعد الموت ما لك الا اياما معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد

ضيعت اكثرها فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق

نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت

موعدك والبيت قبرك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك

اما علمت يا نفس ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك قد آلوا كلهم على انفسهم بالايمان

المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم اما تعلمين يا نفس انهم يتمنون

الرجعة الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك

لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروها لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك

في الغفلة والبطالة ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله

في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين

عليك تامرين الناس بالبر وانت

بالخيرة

[illegible] الله العلي العظيم

يا نفس ان المذنب الذي من العيوب لا يطهر غيره [illegible] في تعيب غيرك وانت غير طيبة
في نفسك ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا تصيبهم بلاء الا
بشؤمك ويحك قد جعلت نفسك حمار الابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر منك مع
هذا فتعجبين باعمالك وفيها من الآفات ما لو نجوت منها رأسا برأس لوجب [illegible] فكيف تعجبين
بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة بعد ان عبده مائتي الف سنة
واخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اعذرك [illegible] يا
نفس ما اوقحك ويحك يا نفس وما اجهلك وما اجرأك على المعاصي ويحك يا نفس كم تعقدين
فتنقضين ويحك يا نفس كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس اتشتغلين مع هذه الخطايا
بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيرا
وبنوا مشيدا وأملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وأملهم غرورا ويحك يا نفس
اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من الخالدين هيهات
هيهات ساء ما تتوهمين ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على الهواء قصرك
وان بطنها عن قليل قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة
اليك بسود الالوان بكلح الوجوه بشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن
او يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس انك تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك
تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين
عن الآخرة وهي مقبلة

عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك [illegible] ولم توقني
انك لم تبلغيه وانت تشاهدين دفن اخوانك واقاربك وجيرانك [illegible] عنه الموت
ثم لا ترجعين عن جهلك فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله تعالى فيه على نفسه ان لا يترك فيه
عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله وسره وعلانيته فانظري
يا نفس باي قلب تقفين بين يدي الله وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب
صوابا واعملي بقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقام وفي دار حزن ونصب لدار
نعيم وخلود واعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها
على الاضطرار ولا تفرحي بما ساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب
مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويأكل ويشرب ويفرح ويلهو وقد حق
له في كتاب الله انه من وقود النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا
ورفضك لها اختيارا وطلبك الآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي
الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد
خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه
الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك
بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة
فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم
تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي
ان الله قد طبع على قلبك

فاتقفان بعنايته ... [illegible] ... على ظاهره وباطنه فوطن نفسك على النار فانهم

لم يبق قبيل مجال الوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فاذا

سبيل الى القنوط فلا سبيل لك الى الرجاء مع السهو وطريق الخير عليك فان ذلك اضطرار

... برجاء فانظر الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح

عينك بدمعة رحمة على نفسك فان سمحت فستقى التي منه من نخل الرحمة فقد بقي فيك موضع

للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين

وادمني الاستغاثة ولا تملي على طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك

قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك العلل

العلل ولا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجأ الا الى مولاك فافزعي اليه

بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل

ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر وقد اصبحت والله مضطرة الى رحمة الله

محتاجة ولقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع

فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول عنه جواد والمستغاث

به رؤوف رحيم واسع والكرم فائض والعفو شامل للمتبتل الباكي والمتضرع التائب

الصادق وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر

انا الجري الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس

الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك واذقني

برد عفوك ومغفرتك

والذي

والذي ... بعد غفول قوة ... [illegible] ... ادم عليه السلام

فقد قال وهب بن منبه لما اهبط الله عز وجل ادم الى الارض من الجنة مكث ... لا

ترقى له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كظيم منكس راسه

فاوحى الله اليه يا ادم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي

واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة

وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار

الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله عز وجل اليه يا ادم

الم اصطفيك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي

الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت

عهدي وتعاصيت موعدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت الارض رجالا

كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى ادم

عند ذلك ثلثمائة عام وكان عبد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلة الهي انا

الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة

اخرى واخيباه خطيئة لم يزل صاحبها في طلب اخرى واعيباه ان كانت النار لي موعدا

ومأوى واخيباه ان كانت المقام الراس عنها واعيباه قضيت حاجة التائبين

ولعل حاجتي لا تقضى وكان عابد في الكوفة يناجي ربه في بعض الليالي كان يقول في

اثناء مناجاته الهي عصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن يجيرني الآن ومن يستغيث بي الجبار

من اعتصم انقطعت حبله

الى جبر ...

على [illegible] المخففين جحوده والمتقاين [illegible]
المحققين اجورهم مع المتقين [illegible] كلما كبرت [illegible] ذنوبي وبلي كلما طال
عمري كثرت معاصي فمن لم اتوب وفي لم اعود اما آن لي ان يستحي من الله وهذه طريقهم
في مناجات مولاهم وفي مجاهدتهم وتوبيخ نفوسهم فان مطلبهم من المناجات الاسترضاء
ومقصودهم من التوبيخ التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجات لم يكن لنفسه مراعيا
ويوشك ان لا يكون الله عنه راضيا ومنها ان يكون شغله العناية بتقوية اليقين فان
اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم اليقين
اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا
الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم
وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع
دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين
وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان من لا
يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين اما
النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة
واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى الاستيلاء والغلبة
على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا شك فيه ويقال فلان
قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق
وغلب ذلك على القلب

واستو

مطلب [illegible]

واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس [illegible] يقينا ولا شك
في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه لكن فيهم من لا يلتفت
اليه ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا
لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا
لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين
بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية
الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون
هو الغالب المتحكم وهو المتصرف فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه فما
متعلقات اليقين ومجاريه وفي ماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب
فيه اليقين لا اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري
اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت
بها الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعضها امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو ان يرى
الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن
باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال منه الغضب على الوسائط والرضا
عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه
لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار
موقنا بالمعنى الثاني

مطلب توحيد

وهو اشرف وهو ثمرة [illegible] وقابليته واما تيقن ان الشمس والقمر والنجوم
والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرة بامره كتسخير القلم في يد الكاتب وان
القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب
والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه للرزق
في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيساق
اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما
يفوته واثمر هذا اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب
على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين
بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي
الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع
فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب عن قليل
السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد
يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق
المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات
وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله مطلع
عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند
كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص

وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في [illegible]
كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا [illegible]
يخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله
مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره و
تزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام
في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من
الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في
كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها
وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان
فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري وابواب اكثر مما عددناه وهذا القدر كاف في
تفهيم معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية
على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان
نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا على علمه فالجواد عينه فراره فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم
في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله عبدا لبسة احسن من خشوع في سكينة
فهي لبسة الانبياء وسيما الصالحين والعلماء واما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق
في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم
عقاب الله وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان
العلماء ثلثة

[illegible] قال من [illegible] بأيام الله فهم مشغولون في حل الغوامض وأهل العلم

[illegible] ولا بأيام الله [illegible] الموقنون وعالم بالله وبأيام الله

وهم الصم يعون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة

ونقمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة ومن حقق [illegible] احاط علمه بذلك عظم خوفه

وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون

وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله

عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من

آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما

يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في

السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون في السكينة ويتقربون بالوسيلة قال

الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من

طلب الرياسة بالعلم فيتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي

في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف

بالحكم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني

لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل

بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى اليه قل له الآن وافقت رضائي وحكى الاوزاعي

عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا

المتصنعين للخلق

المتشوفين

المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم [illegible]

العلم فالظلموا عليه ولا تحظوا به [illegible] فيمجه القلب [illegible]

فكل نخلة تجيء من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر

والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل والادب

وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة

لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا

يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما

ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين

فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وزاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل

وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن

وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده

ويقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر

اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة

من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو

الزهد اما الخشية فمن قوله انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع ففي قوله خاشعين

لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله واخفض جناحك لمن

اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا

غليظ القلب لانفضوا

[illegible] النوافل والعلم النوافل [illegible]

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقيل ما هذا

الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة

قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها

أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال عما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوساوس ويثير الشر

فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف

الشر من الناس يقع فيه ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها المواظبة على ذكر الله

بالقلب واللسان وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول

تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما

علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريع في الأقضية والحكومات ويتعبون في وضع

صور تنقضي الدهور ولا تقع وإن وقع ذلك فإنما يقع لغيرهم لا لهم وإذا وقع كان في القائمين

به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم

وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارا للقبول

والتقرب من الخلق على التقرب من الله تعالى وشرها في أن تسميه البطالون من أبناء الدنيا

فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر

عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح

العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصري أشبه

الناس كلاما بكلام

الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة [illegible] وكان أكثر كلامه

في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة

من شهوات النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لم يسمع من غيرك فمن أين أخذته

فقال من حذيفة اليماني وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لم نسمع من غيرك من الصحابة

فمن أين أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت

أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت أن من

لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا

يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله وما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل

عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة

علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة يسألونه عن الفتن

العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بأعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم

وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر إذا دعي

إلى جنازة نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية

بمقامات القلب وأحواله هو دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله وقد صار

هذا الفن غريبا مندرسا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق

المذكرين فأين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات لقد صدق من قال شعر

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم

فهم على مهل يمشون قصاد

[illegible] على ... الحق ... [illegible]

الخلق الا ... [illegible] ... اتباعهم فان ... [illegible] الوقوف عليه صعب وادراكه شديد

وطريقة مشتغل بها ستيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان

ذلك يمنح الورع على الدوام وصاحبها يتنزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارة

رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مرة الصبر صبوحة فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره

عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة

مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب

وصفات الباطن الا ستة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان

يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة

لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب

ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الكتب ولا

على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما امر به

وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا

على فهم اسراره وانما المقتدي انما يفعل الفعل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول

لم فعله لعله ان يكون لسر فينبغي فيه ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال

فان التقي يحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية

العلم وكان لا يسمى

عالما اذا كان شأنه الحفظ [illegible]

واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقتدى [illegible] ينبغي ان يقلد غيره [illegible]

قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم

من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على ابي بن كعب القران ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا فقال بعض

السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقيناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة

فنأخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة بمشاهدتهم

قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فسبق الى فهمهم

الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحميهم

في الاكثر عن الخطاء واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على

الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة

وصدر التابعين وانما حدثت بعد مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة

التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون

كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر

والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة

تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال

الناس على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء

ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة بكتب القران خوفا من تخاذل الناس

وتكاسلهم وحذرا

[illegible] ... حتى ... [illegible]

حتى قال ابو بكر رضي الله عنه اول من جمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر
على مالك في تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في
الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس
بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا
بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ
بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب و
التفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا قليلون فصار يسمى
المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان
العوام هم الذين يستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة
الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم
اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم
الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول
فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يعرفون الفرق بين العلم وبين القدرة
على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى
ان مظهر الانكار يستهدف الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون
شديد التوقي من محدثات

الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على [illegible] بعد الصحابة [illegible]
التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف و
والمناظرات والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين
ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر و
اجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان
الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم
بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا
لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان تكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة
اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا رايا فيما هم فيه بميل طباعهم اليه ولم تسمح
نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك
قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن راى مثل رايه
ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا
اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله
منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن افعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك
فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدي
فاحسن الكلام كلام الله واحسن الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الامور
فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد
فتقسو قلوبكم الا [illegible]

[illegible] في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله
عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى
لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها
الى البدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في اخر الزمان خير من كثير من العمل و
قال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف
لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذه الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض
فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد
مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم
غير مستخف به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة
اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق اموال عظيمة
في دقائق عمارتها وفرش البسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البوارى في المسجد بدعة
وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم
القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك التعسف
في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب
مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث
قال انتم اليوم في زمان

الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول
تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن
الناس فيما مضى يسئلون عن هذه الامور كما يسئل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون
حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في
دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة
يقول لا تسئلوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم
لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل حتى يسمع
به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع
وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط
فيه بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان منبرا في صلوة العيد عند
المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليس ببدعة
بل هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله
لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث
المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل
الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم تنله
شفاعته ومثال الجاني

[illegible] ذنب [illegible] ولد

بالصبر [illegible] عينه وذلك قد يخفى على قلب الاولية فلا وقال

بعض العلماء ما نطق به السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه

تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه التالي وقال عباس ان

الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال الحسن ان

لو سوا عمله فرآه حسنا فلما احدث بعد الصحابة ما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من

اللعب واللهو حكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين

فقال ما شانكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم

لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون

منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما رأينا

اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار

فتبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لا تنالون من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم

سنة نبيهم ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم

بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل حسناتهم سيئات

قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها

دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادتهم الى حيث شاؤوا فان قلت

من اين عرف قائل

[illegible] ابليس [illegible]

الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر ببالهم [illegible]

وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة

الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان

الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من هذا العلم

الانكار لما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا

بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن

انكر للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين

انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر

الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل

التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل

الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما

يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه لذلك قال الله تعالى ولا تطع

من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا

من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر

ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وانما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله

الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت

واذا غلب على اكثر الناس

[illegible] ... العزلة ...

كما ترى ارباب العزلة ... يبغضون اسباط ... طريقه للرعيته ... خاطئكم

ممن بقي له مجد احد يذكر معه الا كان اغا وكانت مذاكرته معصية وذكر انه ...

السنة ولقد صدق فان مخالط الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت

على منكر واحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل

ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا ومهيئا لاسبابه

كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحيته للخير كصلاح السيف

للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به استعانة على قطع

الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها

جملة من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او

معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل

آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك

بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور

فنسأل الله ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور ثم اعلم

ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة

فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاقه على

نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله

فكذلك العلم يقتنى

فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنيه عن السؤال وحال استبصار وهو

التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم

فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة ...

المسك الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو

خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو الناس وهي عارية

كمن كسى الناس عن عريه وعورته للناس بادية ما ان يواريها ولذبالة المصباح تضيء

لغيرها وهي تحترق ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق وكالصخرة

الصلد الذي عبر به الماء ولا ينتفع هو به قال ابو بكر بن احمد بن علي بن ثابت الخطيب

البغدادي رحمة الله عليه في كتاب اقتضاء العلم العمل عن مالك قال قرات في التوراة

ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا

وانشد اعمل بعلمك تغنم ايها الرجل لا ينفع العلم ان لم يحسن العمل والعلم

زين وتقوى الله زينته والمتقون لهم في علمهم شغل وحجة الله يا ذا العلم بالغة

لا المكر ينفع فيها ولا الحيل تعلم العلم واعمل ما استطعت به لا يلهينك عنه

اللهو والجدل وعلم الناس واقصد نفعهم ابدا اياك اياك ان يعتادك الملل

وعظ اخاك برفق عند زلته فالعلم يعطف من يعتاده الزلل وان تكن بين قوم

لا خلاق لهم فامر عليهم بمعروف اذا جهلوا فان عصوك فراجعهم بلا ضجر واصبر

وصابر ولا يحزنك ما فعلوا فكل شاة برجليها معلقة عليك نفسك ان جاروا وان عدلوا

ومهما اشتغل بالتعليم

[... حسبهما فليحفظ آدابه ووظائفه وليس ... من جملته]
او واده الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين
ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود
الحاضر والحيوة الفانية ولولا العلماء وتعليمهم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك
الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا
على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ
بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة
الرجل الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد
والتباغض ان كان مقصودهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله وسالكون
اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين
الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق
في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات
الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون
عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين الوظيفة الثانية ان يقتدي بصاحب الشرع فلا يطلب على افادة
العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا لمرضاته وطلبا للتقرب اليه
ولا يرى لنفسه منة

عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان يتقرب
الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك
بها تزيد على منفعة صاحب الارض اذ تقلده به منة وثوابك بالتعليم اكثر من ثواب
المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى قال الله تعالى
قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيته
ان اجري الا على الله
والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه
وتعليته بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس
على ام الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى
الجملة فالفضل والمنة للمتعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب
الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يطلبون المال والجاه
ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك
لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي
عدوه وينهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه
ثار عليه وصار اليه من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها
ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله ونصرة لدينه فانظر
الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم
شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل
الفراغ من الجلي

[...] من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة

ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما

يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان

هو علم الخلاف في الفقه والجدال في الكلام والفتوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك

فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله

وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الاخرة ومعرفة

اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس ان يتركه فانه

يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او اخره اذ فيه العلوم

المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يرد الى الصواب بالاخرة

حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص

به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا

حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلة

الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في

القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به

غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر

لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفيان الثوري

رحمه الله وقد رؤي حزينا ما لك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم

جعل عاملا او قاضيا

او فهمها ما نال الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم

عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق

التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف

ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن

فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة ادم وحوا

وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة

ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الزكية الى استنباط معاني ذلك

فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته

الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم

التي وراءه فانه خلق مذموم للمعلمين ينبغي ان يجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان

يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج

في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم

على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك

بسيد البشر حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل منازلهم ونكلم الناس على قدر

عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد

يحدث الناس حديثا لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه

واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور

حملة

الاسرار فلا ينبغي ان

ان يفشى العلم [illegible] هذا اذا كان يفهم المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع

به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير

فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد

بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت

المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام

واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقول الله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه

على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق

باقل من الظلم في منع المستحق شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع

المستوجبين فقد ظلم الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى

اليه الجلي اللائق به فلا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر

رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق

فما من احد الا وهو راض عن الله في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو

افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه

المذكورة المأثورة عن السلف من غير تشبيه ولا تاويل وحسن مع ذلك سيرته ولا يحتمل

عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو

ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع

السد الذي بينه

وبين المعاصي فينقلب شيطانا مريدا يهلك [illegible]

في حقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وما [illegible]

وما يفسدها وما يكره فيها وتعليم الامانة في الصناعة التي هو بصددها [illegible]

من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القران ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما يعلق

الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب

البحث فانه يتعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص الوظيفة

الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل

يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من يتناول شيئا

وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه ويقولون

لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستاثر به ومثل العالم من المتعلم والمرشد من المسترشد

مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه شعر

وكيف استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا

فعلت عظيم وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في

معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها

ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل

متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه فاذا علمت ذلك وفهمت

ما ذكرناه كله من فضيلة العلم وتميز علم الاخرة عن غيره وعلماء الاخرة عن علماء الدنيا

وما ينبغي ان يتصف

[illegible] الآداب مع المتعلمين منهم فاعلم ان الناس في العلم

في ترتيب الاوراد ان يغتنم اوقاته لا تعايير فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم
لا يحتمله الطبع فينبغي ان تخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والا
وراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم
ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة ولكن ذلك لا يصادف في بلد كبير الا
من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر بقول سفيان رحمه الله تعلمنا العلم
لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله فانظر الى اواخر اعمار اكثر العلماء فاعتبرهم انهم هلكوا
وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر
كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة
سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب الاثارة للخوف من الله
فان لم يؤثره في الحال اثر في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بالفتاوى في
المعاملات وفصل الخصومات وعلم المذهب منه والخلاف فلا يرد الراغب فيه للدنيا
الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعنا هذا الكتاب ان تعلمه
المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى ان يتزجر به في آخر عمره فانه مملوء
بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف
في الاحاديث وتفسير القرآن وسير الانبياء والصحابة والصالحين من بعدهم ولا يصادف
في كلام ولا خلاف ولا في علم مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان حكم العالم في هذا
الزمان ترك التدريس

والعزلة ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى [illegible]
الا الكلام مزخرف ليستميل به العوام في معرض الوعظ او جدال معقد يتوصل به
الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلاطين ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة
واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل به الى التقدم على الامثال
وتقلد الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم
فان صودف طالب منهم لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم
منه ولكن ذلك قد قل في العباد والبلاد فالحزم على العالم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار
من الاصحاب ما امكن والمتعلم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول
والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم
فمن آفات العلم الخيلاء كما قال عليه السلام ولذلك حكي عن بشر انه دفن سبعة عشر قمطرا
من الكتب التي سمعها فهذه آفات قد نبهنا عليه بل العالم الذي يطلب الدنيا بتدريسه
وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا الزمان ان يتركه ولقد صدق ابو سليمان الخطابي
حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية
اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا
واذا خرج كان عليك خطيبا هم اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم
عليك فما غرضهم العلم بل المال والجاه وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم
ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك
ويرون حقا واجبا

لهم ويفرضون [illegible] وجهلهم ودينهم فتعادي [illegible]
ويستخفون بهم وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيها وكنت فقيها وتكون
لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل مهاجرة العلماء مروءة
تامة فهذا معنى كلام ابي سليمان وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك
ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه
يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزقه
على الادرار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد
الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب
له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه
ويستذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة
القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز
والقصور عن درك مصارفات الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان
فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثار عليه ثوران الاساود
فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلاء
تمنيه نفسه بالاباطيل وتدليه بحبل الغرور وتقول له لا تفتر عن صنيعك فانك
بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله وناشر علم الدين وقائم بكفاية طلاب
العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من
تكثير اهل العلم فبهم

يظهر الدين ويتقوى اهله [illegible]
لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين بالملوك [illegible] ولا يميزون بين
الحرام والحلال فيلحظهم اعين الجهال ويتجرؤن على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم
واقتفاء لاثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك
الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له
دواء ولنرجع الى ما كنا فيه بذكر كيفية ترتيب العالم اوراده فنقول ان لم يجد من
يستفيد علما لاجل الاخرة فليشتغل بنفسه وليقبل التعليم وليصرف في ذلك
الوقت اعني ما بعد طلوع الشمس الى الضحوة الى الفكر ويتفكر فيما يشكل
عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر والفكر وقبل الاشتغال
بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف
والمطالعة لا يتركها الا في وقت الاكل والطهارة والمكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال
النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه من تفسير او
حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل الى الاستغفار والتسبيح
فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان ووردة الثاني في عمل
القلب بالفكر الى الضحوة ووردة الثالث الى العصر في عمل العين واليد
بالمطالعة والكتب ووردة الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين
واليد فالمطالعة والكتب بعد العصر مما اضر بالعين وعند الاصفرار يعود
الى ذكر اللسان

[illegible] مع حضور القلب في الجميع واما بالليل
فيحصل تقسيمه بقسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث
للمطالعة وتربية العلم وهو الثلث الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث
للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا كثر
النوم بالنهار فهذا ما استحب للعالم في تهذيب اوقاته وترتيب اوراده الثالث المتعلم
والاشتغال بالتعلم افضل من الاعتزال واستغراق الاوقات بالاذكار والنوافل
فان المعتزل قبل التعلم في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او تفكر في هوس وغايته
ان يستغرق جميع اوقاته باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب
عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك
في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة
تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد
فالعلم هو اصل الدين فلا خير في العزلة قبل التعلم ولا خير في عزلة العوام
والجهال اعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه في العبادة
فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى طبيب متلطف يعالجه فالمريض الجاهل
اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف لا محالة ضرره
مرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم فالمتعلم اعظم العبادات في الدنيا الا ان العلوم
كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضرورية في الدنيا فالمحتاج الى التعلم
لما هو فرض عين

عليه خاص بالعزلة والخلوة وان يشتغل بالقرآن والاذكار فليتب [illegible] بالاستغفار [illegible]
ولتطواف البلاد والبطالة واضاعة الاوقات [illegible]
الآخرة ولهذا قال السلف تعلم النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل اي تفقه في الدين
ثم اشتغل بنوافل الطاعات ثم اعلم ان المتعلم له ترتيب في تحصيله و
ترتيب في اوراده اما الاول فلا بد له ان يشتغل بالعلم الذي هو فرض عين
بحسب ما يقتضيه حاله فالفرض الاول له ان يتعلم معنى كلمتي الشهادة وهي
قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس يفرض عليه اولا ان يحصل
كشف ذلك لنفسه بالبرهان وبالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان
يصدق به جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد
التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اولا اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بالتصديق الجزم والاقرار من غير تعلم دليل وثانيا فرض
عليه ان يبادر فيما يحصل به الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر والصراط
والميزان والحساب والجزاء وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير حتى يؤمن بها
ويصدق جزما وقطعا من غير اختلاج ريب في قلبه والريب لا يجتمع مع الايمان
في قلب واحد والمريب كافر ومنافق وهذا الايمان من تتمة كلمتي الشهادة فانه
بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يتعلم الرسالة التي هو مبلغها وهي ان
من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار ولو خطر له شك في
المعاني الذي تدل

[illegible] بحيث [illegible] فاعلم [illegible]

[illegible] كلام الله قديم وانه [illegible] للحوادث

[illegible] في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة

لفساد الاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان

كان في بلد شاع فيه الكلام او تناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان عن ذلك بتعليم

الحق وتلقينه اولا فانه لو القي اليه الباطل لفرض ازالته من قلبه وربما عسر ذلك ثم

يبدا بتعلم ما يتعلق بالصلوة من الوضوء والغسل والتيمم وطهارة الخبث

في البدن والثياب والمكان وستر العورة لو عرض العوارض الموجبة لها مثل الجنابة

والحيض والنفاس والسفر وغيرها ثم يتعلم الخشوع وحضور القلب وساير المعاني

الباطنة والظاهرة وحدودها واسبابها وعلاجها وساير ما ذكرنا في كتاب الصلوة

فان عاش الى رمضان ينبغي ان يتعلم ما يتعلق بالصوم من متعلقاته ومفسداته

وقد ذكرنا في كتاب الصوم ثم ان كان له مال فيلزم تعلم علم الزكوة وقد ذكرنا ما يجب ان يتعلم

منه في كتاب الزكوة وكذلك الحج وقد ذكرنا في كتاب المناسك ما فرض تعلمه ثم لا يخلو

العبد عن وقايع في عباداته ومعاملاته وعن تجدد لوازم عليه فيلزمه السوال عن

كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه عن القرب غالبا

فاذا تبين انه عليه السلام انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم

عن كل مسلم علم العمل والمعاملة مع الله ثم يتعلم الحلال والحرام ودرجاتهما وما يحرم

من المعاملات وما يحل

يجب ما يقتضيه الحال ويتجدد [illegible] اذا يجب [illegible]

[illegible] ما يحرم من الكلام [illegible] الباطل والكذب والحلف الكاذب ووصف غير

الله وخلف الوعد والغيبة والنميمة والتنابز بالالقاب والتصلف وطلب [illegible]

وغير ذلك مما ذكرنا في كتاب آفات اللسان ولكن يجب تعلم ذلك كلها ولبقية الاحتراز

عنها على من ليس بابكم على الناطق ولا يجب على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ويجب

على البصير ولا يجب على الاصم تعلم ما يحرم سماعه ويجب على السميع ولا على البدوي تعلم

ما يحل الجلوس فيه من المساكن وقس على هذا امثالها وكذا ذكرنا ما يجب الا يجب ما يقتضيه

الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس به يجب تعلمه وتعليمه حتى لو كان

لابسا للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعلمه وتعليمه وما ليس

ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد

يتعاطى فيه شرب الخمر فيجب تعليمه وجب تنبيهه عليه وما وجب تعلمه وجب

عليه تعليمه وانما الفرض المهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب ما يحمد منها وما يذم

اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخوات

هذه الخصال فتعلم ذلك كله فرض وتعلم حدوده وعلاماته ووجوده وكيفية امتحانه

ومعالجته وكيف لا يكون تعلمها فرضا فقد قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع

وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وازالة كل ذلك فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها

ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة

السبب بضده فكيف

[illegible] بتحصيل [illegible] وصنعة
[illegible] الاعمال الظاهرة وانما هي غايرة تابعة ومكملة لها
اذا ... تنقية هذه العلل الباطنة واهمالها والاشتغال بالاعمال الظاهرة بها
فقط كطلاء الابرص والاجرب ظاهره بدون شرب المسهل والفصد وطريقة العلماء
يأمرون بمجرد اعمال الظاهرة كطريقة الاطباء الذين يأمرون لعولاء المرضى
بالاطلية والعلماء الكمل يأمرون بها جميعا اعني تطهير الباطن وقطع مواد الشرور
المذكورة بافساد منابتها وقلع مغارسها التي هي في القلب وانما يبادر الاكثرون بالاعمال الظاهرة
ويتركون تطهير الباطن عن هذه الشرور لسهولتها وصعوبته كصاحب القروح والخراجات
والخنازير والبهق والدماميل الذي يبادر بالجهل الى الاطلية ويترك لشرب الادوية
المسهلة المنقية للبدن عن الاخلاط الردية والمرار الصفراوية والسوداوية التي
هي سبب تلك العلل الظاهرة فهو لا يزال يتعب في الاطلية يتعلم ويسأل عن
الاطباء الطرقية الذين لم يجاهدوا في تعلم علم الطب ولم يزاولوا المرضى ولم يلازموا
المارستانات ولم يشاهدوا كيفية طبخ الاشربة وخلط الادوية وليس لهم كثير
تجارب في تشخيص الامراض ومعرفة مقاديرها في القوة والضعف ولا في قوة الادوية
ودرجاتها في الحرارة والبرودة والقبض والاسهال والتنضيج وغير ذلك في [illegible] المواد
ويتضاعف الامراض يوما فيوما فيهلك المرضى بتشبثهم فيا ليتهم لم يعالجوا ولم [illegible]
بالاطباء فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل التدريج
وما دمت صاحب [illegible]

لا يشتغل [illegible] بعلم الاخلاق
الباطنة وعلاجها على ما ذكرناه في موضعه ثم يجتهد في تحصيل الصفات المحمودة
التي سميت منجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلاء بالمحمود
والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين
فما لم تفرغ من فروض الاعيان لا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي
الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما احمق من قصدت
العقارب والحيات للدغه وقتله وهو يطلب المذبة ليدفع الذباب عن غيره
لا يخلصه منها ولا ينجيه وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على
ترك ظاهر الاثم وباطنه كما امرك الله تعالى في كلامه وذروا ظاهر الاثم وباطنه وصار
ترك ذلك خلقا وعادة متيسرة فيك فاشتغل بفروض الكفايات ان كنت
تقدر عليه فان من تفرغ من تعلم فروض الاعيان وكان لا يتأتى منه الخوض في
سائر العلوم ورأى الاشتغال بالعبادات والاذكار فليعتزل وان كان
يقدر على التبحر في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه غاية الحرمان
بل ينبغي ان يشتغل بهما فيبتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسول الله ثم بعلم التفسير
وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه
وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون [illegible] ثم باصول
الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع العمر و[illegible] فيه الوقت

ويساعد فيه الوقت

علم ... طلب الاستقصاء فإن العمر قصير والعلوم كثيرة

وهي آلات ومقدمات وليست مطلوبة بعينها بل لغيرها وكل ما

يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع

اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القران

وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة

فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث

والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف

القران في المقدار مثل درج اللباب لابن الخطيب رحمه الله وكالوجيز للواحدي و

الاقتصاد ما يبلغ أضعافه مثل حقايق السلمي وتفسير ابن عطية وتفسير

ابن عطا والوسيط للواحدي وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد

له إلى انتهاء العمر مثل مجمع البحرين لابن الخطيب والبسيط للواحدي والثعلبي

والماوردي والقرطبي وغيرها وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين

بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامي الرجال

فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك

حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج

إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج منهما مما ورد في

المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما

نقل من الضعيف والقوي

والصحيح والسقيم ثم معرفة الطرق ... أحوال الرجال و

أساميهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه ... على

مذهب أبي حنيفة رحمه الله وما يحويه مختصر المزني على مذهب الشافعي وخلاصة المختصر

للإمام الغزالي والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة أمثاله مثل الوقاية والهداية على

مذهب أبي حنيفة والوسيط للإمام على مذهب الشافعي والاستقصاء ما في

المبسوط والواقعات على مذهب أبي حنيفة وكالبسيط للإمام على مذهب الشافعي

إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي

نقلها أهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الأمور

من غير طريقها فيضيع الوقت ولا تحصل المرام والمقصود حفظ السنة فتحصيل

رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في قواعد العقايد و

الاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة كالاقتصاد للإمام رحمه الله ولوامع الأدلة

له ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعة بما يفسدها وينزعها عن قلب

العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم أما المبتدع بعد أن يعلم

من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه

وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عنده جوابا هو عاجز عنه وأما الخلافيات

التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات و

المجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك أن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم

القاتل فإن هذه

[illegible] وجدالا

ويجعلهم [illegible] على [illegible] واشتغل بنفسه [illegible]

قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علته الا بعلم الخلاف فان علل

المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون

ولا الصحابة وقد كانوا اعلم بعلل الفتوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في

علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي

اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في الاكثر فمن الف طبعه رسوم

الجدل اذعن ذهنه بمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه

وانما يشتغل به من يشتغل بطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب

علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من

شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن

من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك

في العالم واحدك الا مع الله وبين يديك ملك الموت والعرض والحساب والجنة والنار

وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من

دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث وقد مر وقد روي بعض العلماء في المنام

بعد موته فقيل له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر

عليها فبسط يديه ونفخ فيها وقال طاحت العبارات كلها هباء منثورا وما انتفعت

الا بركعتين حصلتهما

في جوف الليل وفي الخبر [illegible] حلية [illegible]

الجدل وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عليهم

ابواب العلم ويفتح عليهم ابواب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان

الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق

الى الله عز وجل الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا

العمل فلنقتصر بهذا القدر فقد اطنبنا الكلام فقد تبين لك الان شيئان

احدهما ان الفرض الاول على المتعلم تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق

ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن

الى الله وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر

عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم

الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين

على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها

على نجاسة الباطن اذ المشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه

نجس الجوهر اي باطنه متلطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب

صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولهذا

قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة

ومهبط اثرهم ومحط استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة وسائر ما ذكرنا كلاب

نابحة فانى تدخل

... لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة

الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا

فيوحى باذنه ما يشاء انه علي حكيم وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب

انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن

المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزاين رحمة

الله الا طاهرا ولسنا نقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب

والصفات المذمومة ولكنا نقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين

التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة

فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر

ما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها

عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة للمصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب

فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت

ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله ومن الكلب

الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهي

السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها

والحرص على تمزيق اعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ

المعاني دون الصورة والصورة في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة

فيها وفي الآخرة

تتبع ... اللسان وتقلب المعاني ...

فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره ...

والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة الاسد وقد وردت بذلك

الاخبار وشهد بذلك الاعتبار عند ذوي البصاير والابصار وقد روى الامام

العلامة الثعلبي في تفسيره قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول

الله صلى الله عليه وسلم في منزل ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله ارايت قول

الله عز وجل يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال يا معاذ سالت عن

عظيم من الامر ثم ارسل عينيه ثم قال يحشرون عشرة اصناف من امتي اشتاتا

قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صور القردة

وبعضهم صورة الخنازير الحديث ثم فصل صلى الله عليه وسلم فقال فاما الذين

على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة

الخنازير فاهل السحت الى آخر الحديث وذكر هذا الحديث ايضا صاحب الكشاف

في الكشاف والفخر الرازي في تفسير الكبير وهذه الآية وهذا الحديث يحتاج على

ما ذكرنا ومن اراد معرفة الحديث بتمامه فلينظر في التفاسير المذكورة فان قلت

كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم قلنا فهيهات ما ابعده عن

العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان اوايل ذلك العلم

ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول شيئا مع علمه بكونه

سما وانما الذي تسمعه

[illegible] ويردونهم [illegible]

ليس العلم [illegible] قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما
العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض
المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم
ابى وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه
لتعلمنا لغير الله فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا
في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا
منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك
ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث
كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذه الاشارة في مواضع
فهذه احدى وظائف المتعلم وينبغي للمتعلم ان يعلم ان العمر اذا كان لا يتسع
لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف
جمام قوته الى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم
الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية
المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي تلقفه العامي وراثة وتلقفا
ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين

في قلب عبد [illegible] طهره بالمجاهدة [illegible]
الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالم لرجح كما شهد [illegible]
صلوات الله عليه فينبغي ان يكون حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن
بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشد اليه الا الحرص في الطلب وعلى
الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله تعالى وهو بحر لا يدرك منتهى غوره
واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي
انه روي صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة فيها
ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه
مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله سبحانه
وتعالى اشرب واظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب الثاني ان شرف الشيء
به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة
الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة
الاخرى الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النحو فان
الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف
وان كان الثمرة بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه
ورسله ~~وملائكته وكتبه~~ ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك
ان ترغب الا فيه الثالث ان يكون قصده في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة

و رضاء الله والتشكر له على

[illegible] العقل [illegible]

[illegible] عن نفسه وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام فان بقاء الا
سلام بالعلم ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل انشد الشيخ الاجل الامام
الاستاذ برهان الدين رحمه الله صاحب الهداية شعر فساد كبير عالم متهتك
واكبر منه جاهل متنسك هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك
وفي المآل السعادة الابدية والقرب الى الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة
المقربين ولا يقصد به الرياسة والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران
قال محمد بن الحسن رحمه الله لو كان الناس كلهم عبيدي لاعتقتهم وتبرأت عن ولائهم
ومن وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس انشد الشيخ الامام
الاجل قوام الدين حماد بن ابراهيم بن اسمعيل الصفار الانصاري رحمه الله املاء
لابي حنيفة من طلب العلم للمعاد فاز بفضل من الرشاد فيا لخسران
لطالبيه لنيل فضل من العباد اللهم الا اذا طلب الجاه للامر بالمعروف و
النهي عن المنكر وتنفيذ الحق واعزاز الدين لا لنفسه وهواه فيجوز فقد ذكر بيانه
في كتاب ذم الرياء والجاه وينبغي ان يتفكر في ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلا
يصرفه الى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية شعر هي الدنيا اقل من القليل
وعاشقها اذل من الذليل تصم بسحرها قوما وتعمي فهم متحيرون بلا دليل
وينبغي لاهل العلم ان لا يذل نفسه بالطمع في غير المطمع ويتحرز عما فيه مذلة العلم واهله
وكان محمد بن الحسن

مال [illegible] حتى [illegible]
فلم يبق له ثوب نفيس فرآه ابو يوسف في ثوب خلق فارسل اليه [illegible]
يقبلها عجلت لكم واجلت لنا ولعله انما لم يقبلها وان كان قبول الهدية سنة
لما رأى في ذلك مذلة نفسه قال عليه السلام ليس للمؤمن ان يذل نفسه المؤمن
غير التواضع ويكون بين التكبر والمذلة على ما يجيء بيانه ان شاء الله والمذلة [illegible]
والتواضع واجب قال ركن الدين المعروف بالاديب المختار شعرا لنفسه
ان التواضع من خصال المتقي وبه التقي الى المعالي يرتقي ومن العجائب
عجب من هو جاهل في حاله اهو السعيد ام الشقي ام كيف يختم عمره او روحه
يوم النوى متسفل او مرتقي والكبرياء لربنا صفة له مخصوصة فتجنبها واتقي
وحكي عن الشيخ فخر الاسلام انه جمع قشور البطيخ الملقاة في مكان خال فاكلها
فرأت ذلك جارية فاخبرت بذلك مولاها فاتخذ له دعوة فدعاه اليها فلم يقبل
لهذا وهكذا ينبغي طالب العلم ان يكون ذا همة عالية قال قتادة من اعطي مالا
او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال
ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه
انه ليس لك بدنياك عليه فضلا وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه
انه ليس له بدنياه عليك فضلا وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع
فقال لهم الحسن [illegible] تدرون

[illegible] القراءة [illegible] تحصيل فضائل

[illegible] غير [illegible] ومن [illegible] يكون غرضه من معصيته

حطام الدنيا واقامة جاه عند اهل الدنيا كما ذكرنا غير مرة قال الامام

الغزالي رحمه الله في بعض نصائحه للمترددين عنده من طلبة العلم ايها الولد كم

من ليلة احييتها في المطالعة وتكرار الدرس كم من ليلة تركت فيها طيب المنام

وليت شعري ما الباعث لك في هذا فان كان الباعث لك طمع الدنيا وجذب حطامها

وتحصيل المناصب والمباهات على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك

وان كان الباعث لك احياء الدين المحمدية وشريعته وتهذيب اخلاقك وكسر النفس

الذي هو اعدى عدوك الذي بين جنبيك فطوبى لك ثم طوبى لك ولقد صدق من قال

في هذا المعنى شعر سهر العيون لغير وجهك ضائع :: وبكاؤهن لغير فقدك باطل

ايها الولد عش ما شئت فانك ميت واحبب ما شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت

فانك مجزي به ايها الولد اي منفعة تحصل لك من تحصيل العلم الكلام والخلاف

والطب والنجوم ودواوين الشعر والعروض والنحو والصرف والحماسة وديوان

المتنبي وامثالهما غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال رايت في الانجيل ان بين وضع

الميت على الجنازة وبين وضعه على شفير القبر يسئل الله تعالى عنه بلا واسطة

مثل اربعين سوالا اوله عبدي طهرت منظر الخلق سنين فهل طهرت منظري ساعة

ايها الولد لقد جاء النداء من الملك الجبار الى قلبك كل ساعة ولحظة ولمحة

يا عبدي ما تصنع بعبيدي

٩٠

[illegible] فانا [illegible] نفعا ولم [illegible]

لم اعمل جنون والعمل بلا علم بطل فلا بد لطالب من جمع بينهما ايها الولد العلم

الذي لا يمنعك اليوم عن المعصية لا يمنعك غدا يوم القيمة عن النار ايها

الولد تعلمك ستقول فارجعنا نعمل صالحا ويقال لك ايها الاحمق في الصيف

ضيعت اللبن قال الصديق الاكبر هذه الاجساد قفص الطيور او اصطبل

الدواب فانظر من ايهما انت والعياذ بالله لو كنت من الذين قيل في حقهم اولئك كالانعام

بل هم اضل فتيقن انك تنقل من الزاوية الى الهاوية ايها الولد اخذ الحسن البصري

رحمه الله بيده شربة ماء ليشرب فتنفس نفس الصعداء وخرج الدخان من فيه وسقط

الكوز من يده وغشي عليه فلما افاق سئل عن حاله فقال ذكرت امنية اهل النار حين

يقولون لاهل الجنة افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ايها الولد لو كان العلم

المجرد كافيا لما المطلوب من نداء هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر في

وقت الاسحار ايها الولد هل تعرف المطلوب من قوله تعالى فتهجد به نافلة لك وكانوا

قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون والمستغفرين بالاسحار

وروي ان النبي عليه السلام قال لواحد من الصحابة يوما يا فلان لا تكثر النوم بالليل

فان كثرة النوم تدع صاحبه فقيرا يوم القيمة ايها الولد يكفيك هذا القدر من النصيحة

لقد اسمعت اذنا دنت حيا واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده

وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم اعني علم الفتوى

وعلم النحو واللغة المتعلقين

[illegible] علم التفسير وعلم أصول الفقه والعلم

[illegible] بالرجال وأساميهم وأسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم

بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند فهذه

علوم من العلوم الشرعية ومما يتعلق بها وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفاية

ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فإن المتكفلين

بالعلوم كالمتكفلين بالثغور منهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم ساقي الماء ومنهم

الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن الأجر إذا كان قصده

إعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك من يجتهد في العلوم المذكورة فإن

الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال هم درجات عند الله

والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على

حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن أن ما نزل عن رتبة القصوى فهو

ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين ثم للصالحين

على درجاتهم وبالجملة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم أي

علم كان نفعه ورفعه لا محالة الرابع أن تعلم نسبة العلوم إلى المقصد كي تؤثر

الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك

في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن

وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك

تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا

والأعمال ساعية إلى [illegible]

[illegible]

إلى هذا العالم كقدرة الأولين والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه

الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى أفهام العوام و

المتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد علق عتقه

من الملك على الحج وقيل له إن حججت وتممت وصلت إلى العتق والملك جميعا و

إن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك

العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف

من الشغل الأول تهيئة الأسباب كشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد

والراحلة والآخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل

الثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الإحرام

وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من

أول إعداد الأسباب إلى آخرها ومن أول سلوك البوادي إلى آخره ومن أول أركان

الحج إلى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد

في إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب

منه فالعلوم أيضا ثلثة أقسام قسم يجري إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة

وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا إذا اتفق على نية نيل

السعادة الأبدية وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير

الباطن عن كدورات

... [illegible] التي تجر بعضها الى ... ولا غير الا ...

... قبل سلوك الطريق وتحصيل ... تحصيل علم جهات الطريق و...

... وكما لا يغني علم المنازل وطريق البوادي دون سلوكها لا يغني عند علم تهذيب

الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن والقسم الثالث

... نفسه وارکانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وجميع ما

ذكرنا في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز السعادة والنجاة حاصلة لكل سالك

للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها

الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم

واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تعالى واما ان كان من

المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام

لك من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض

الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب

الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق

اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى

من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر

فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان

ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء

المعاملة التي هي سلوك طريق

الاخرة وقطع عقبات الصفات ...

علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك ... علم ... البدن

ومباشرة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون

الذي يتوسل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه

في ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه واما اسباب الصحة

فهي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقيه

اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت فلم شبهت

علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب

دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل سر من اسرار الله لا يدركه الحس

ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه

بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية

والة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو

مضنون به ولا رخصة في ذكره وغاية المأذون ان يقال هو جوهر

نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال

تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فكل المخلوقات منسوبة الى

الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر الاعضاء من البدن فلله الخلق

والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة

الله المتقدمة

او بسبب الجاهل لامانة الله

[illegible] ذا بين [illegible] منها وانفقه [illegible]
[illegible] هذا [illegible] سببا بقربه [illegible] اقسم الارواح مغرور جاهل
[illegible] ما يقول وتنقبض عنان الكلام والبيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن
بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانها من امر الرب
[illegible] زرعها واليه مرجعها واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها
فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي
يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية
ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان
الانسان وحده لا يحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده
ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل
بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس
والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما
اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا و
تقاتلوا ويحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل
هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال
في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق الاعتدال
في الاحوال بين الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن
الذي هو مطية

فالمتجرد لعلم الفقه والطب اذا لم [illegible]
الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره
في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي بها تستحكم خرز الراوية للحج
ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل الى علم المكاشفة
كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانها فتأمل هذا واقبل النصيحة
مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وتعب شديد
وجراءة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة
فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم ثم اعلم انا قد وجدنا كلمات منسوبة
الى ابي حنيفة تتعلق الى وظائف المتعلم فاحببنا ان نضيف الى هذه الوظائف
منها واما بعد فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم في زماننا يجدون ويجتهدون
الى العلم لا يصلون او من منافعه وثمراته يحرمون لما انهم اخطأوا طريقه و
تركوا شرائطه وكل من اخطأ الطريق وضل لا ينال المقصود قل او
جل اردت واحببت ان ابين لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتاب و
سمعت من اساتيذي اولي العلم والحكمة ومنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة اعلم انه لا يفترض على كل مسلم طلب
كل علم وانما يفترض عليه طلب علم الحال كما يقال افضل العلم علم الحال وافضل
العمل حفظ الحال

[illegible]

الصلاة ... حتى يعلم ما يقع في صلوته من الخشوع والخضوع وحضور
القلب وغير ذلك من اراد ان يطلع على تلك الفوائد فعليه ان يطالع الكتاب
المسمى بتعليم المتعلم المنسوب الى ابي حنيفة واما ترتيب المتعلم او زيادة
فلترتيب العالم فاذا تبين ان اشتغال المتعلم افضل من الاشتغال
بالاذكار ونوافل الطاعات فينبغي له ان يشتغل باستفادة العلم حيث
يشتغل العالم بافادته وبالتعليق والنسخ ويشتغل بذكر العلم والحكم
واختصاره حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب ساير اوقاته
كما ذكرنا في العالم ولما ذكرناه في فضيلة العلم والتعلم يدل على ان ذلك
افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان
من العوام فحضوره مجلس الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله با
لاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث
ابي ذر حضور مجلس الذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة و
عيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها
فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال كعب الاحبار
لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته
وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله
وعليه من الذنوب

مثل جبال تهامة فاذا [illegible]
[illegible] فانه
ولبس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض
تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في قلبي
فقال ادنه من مجالس الذكر ورأى راهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت
من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات
هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت يا مولاي ما تسأل
عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها فقال وبم ذلك قالت بمجالسة اهل الذكر
وعلى الجملة فما يحل من القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ
حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب
على حب الدنيا والمراد من الذكر ههنا العلم والفقه في الدين الذي اشرنا
اليه فيما مر من احوال العالم بدليل ما روي عن انس بن مالك انه لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله من غدوة الى طلوع الشمس
احب الي من ان اعتق اربع رقاب فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري
فقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه انما كنا نقعد فنذكر الايمان و
نتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القران وعد
النعم تفقها وتعلما وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة بروايات
واسانيد كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض
الجنة قال مجالس الذكر

[illegible]

[illegible] بعضهم بعضا [illegible] فانهم يخفون

[illegible] يستمعون الا فاذكروا الله فذكروا بانفسكم فنقله الناس هذا الاسم المجهول

الى ان تولى اكثر الوعاظ يواظبون عليه بسبب تلبيس الشيطان وميل الطبع وقد

ورد نهي السلف عن الجلوس عندهم والاستماع منهم فانه لم يكن هذا في زمن رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر الوعاظ

الذين يخلطون الصدق بالكذب والاخبار الصحيحة بغير الصحيحة يغرون الناس ويسهلون

عليهم سبيل المعاصي لينالوا ما في ايديهم من حطام الدنيا وعدلوا عن المنهاج

الواجب في الوعظ واستمر ذلك الى الآن وطار هذه الفتنة في العباد الى هذه

الزمان فخرج عن هذا المنهاج وعاظ هذا العصر كافة الا من عصمه الله في بعض

اطراف البلدان ان كان ولسنا نعرفه فصاروا شياطين الانس فضلوا واضلوا

عن سواء السبيل يصدون الناس عن سبيل الله تعالى ويجرؤون الخلق الى الغرور

بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي واصرارا على الذنوب ونسيانا

للتوبة ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل

والمركب يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا الجاهل

اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فيجعلهم محبا وحريصا

على الدنيا مع انه راس كل خطيئة ومصروا على المعاصي وهو راس كل شقاوة وقد

وقد كان الواجب

عليهم حل عقدة الاصرار [illegible] على التوبة [illegible]

ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء ولا معنى للدواء الا مناقضة اسباب

الداء فكل داء حصل من سبب الاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة

الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة

راس الخطايا كما قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون

فلا دواء اذا للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع

في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد

منهما غرض آخر وبالاصلاح بمجموعهما يقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي

ان تفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذا لهذا الدواء اصلان احدهما

العلم والآخر الصبر كما ان المريض يحتاج الى طلب الصحة الى تصديق بامور الاول

ان يصدق على الجملة بان المرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار

على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الاعتقاد باصل الطب فان من

لا يعتقد به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك والثاني انه لا بد وان يعتقد

في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس

ولا يكذب فان اعتقاده باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الاعتقاد

الثالث انه لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الاشياء المضرة على الجملة

حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء ويكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء

الرابع ان يصغي

[illegible] وتصديق ولا حتما حين [illegible]

يعرف تفصيله من احواله وافعاله واقواله وحقوقه فاينبه على كل مريض
الا حتما عن كل شي ولا ينفعه كل دوا بل لكل علة دوا خاصة علم خاص وعلاج خاص
فاذن كل المصر يحتاج في طلب التوبة ان يصدق بامور الاول ان يصدق ويؤمن
باصل الشرع وهو ان السعادة في الآخرة سببها هو الطاعة وللشقاوة
سببها هو المعصية وهو الايمان باصل الشرايع وهذا لابد من حصوله اما عن
تحقيق او تقليد ولا لهما من جملة الايمان الثاني ان يعلم ويعتقد ويؤمن ويصدق
بصدق الرسول ويصدق بان كل ما يقوله حق وصدق ولا كذب فيه ولا خلف
الثالث ان يصغى الى الرسول فيما جاء به من الايات والاخبار المشتملة على الترغيب
في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى ويصدق بجميع ما يلقى
الى سمعه من ذلك من غير شك وارتياب حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر
الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع ان يصغى الى الرسول فيما يختص بعين المعاصي
والشهوات اذ كل من به ليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن
ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال ماسة الى العلم بانها
ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر
عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم تختص بها اطباء الدين وهم العلماء
ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان
كان لا يدري ان ما ارتكبه

ذنب فعلى العالم ان يعرفه ويدله بان يتكفل كل عالم [illegible] او مسجد
فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم وعما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم
ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم
ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في
مجامعهم ويدورون على ابوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم
فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة
معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى
السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس
دينهم فان الناس لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل
والفرع فالدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم
ومرض القلب اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى
وكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره
كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده
بالسلاسل والاغلال ليكف شره عن ساير الناس وانما صار مرض القلب اكثر من
مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني انه
لا يشاهد في هذا العالم عاقبة مرضه من العذاب الاليم في دركات الجحيم وعذاب القبر
وما بعده بخلاف مرض البدن فان عاقبته يشاهد وهي الموت تنفر الطباع عنه
فيجتهد في

[illegible] مرضا [illegible] ولا يشاهد ما يغير [illegible] من الله تعالى [illegible] التي

يحصل لاصحاب القلوب المريضة فلا نجتهد في ازالة مرض القلب لا

لغفلتهم عن هذا المرض وقلت النفرة عن الذنوب وان علموا ما مرتكبها فاتكلوا

على فضل الله تعالى في مرض القلب ويجتهدون في علاج مرض البدن ولا يتكلون والثالث

هو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه

الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض

حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغراء الخلق والاشارة اليهم بما يزيدهم

مرضا لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا على الاطباء فلم يقدروا

على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج

وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك

الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم

يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم

يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون الى

ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في

الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن الوعظ وقد استفادوا

مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا

او خائنا اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن

لشخصين

العلة اما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية [illegible]

وضيق العيش على نفسه بالكلية وبالغ فيها وجاوز حد [illegible]

اضر بنفسه واهله جدا فتكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء

الى الاعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم

القنوط والياس استعظاما لذنوبه التي سبقت فترك العبادة واقبل على

ضروب المعاصي بسبب قنوطه واياسه عن رحمة الله تعالى نظرا الى كثرة ذنوبه يعالج ايضا

باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي

بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من

دأب الجهال والاغبياء وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المبالغة في

التخويف ايضا لا يكاد يردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء

فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والاستنطاق

الخلق بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الارجاء حتى ازداد الفساق فسادا وازداد

المنهمكون في طغيانهم تماديا وهؤلاء الحمقى الجهلة الجاهلون عن حقائق الفاظ

القران كيف لا يعلمون ان الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده

ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد ان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر

اسبابه فهو الرجاء الصادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها

فاسمه الغرور والحمق وان لم يكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسمه التمني

وقد علم العلماء

ان ارباب القلوب علموا ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعة

تقليب الارض وتطهيرها وحفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر

بالدنيا كالارض السبخة التى لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد

احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب

وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر فى ارض سبخة فينبغى ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء

صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس

ثم امده بما يحتاج وهو سوق الماء اليه فى اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما

يمنع نبات البذر او يفسده ثم قعد منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق و

الافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته ليسمى انتظاره رجاء وان بث البذر

فى ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد الارض

والبذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمى انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء

وان بث البذر فى ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار فى موضع لا

تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمى انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما

يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم

يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات

فالعبد اذا بث بذر الايمان فسقاه بماء الطاعات ونقى القلب عن شوك الاخلاق

الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية

الى المغفرة

كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه [illegible]

بمقتضى الايمان فى اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان

تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذايل الاخلاق وانهمك فى طلب لذات

الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقد ذكر انه قال صلى الله عليه وسلم

الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا

الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا

الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا فاذا العبد المجتهد

فى الطاعات والمجتنب عن المعاصى حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة

وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصى فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط فيه

من تقصيره فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها

للمعصية تسوءه المعصية وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى

التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو التوفيق من الله لان ذلك سبب قد

يفضى الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين

امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه

اولئك يستحقون ان يرجوا رحمة الله وما اريد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا

قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم

نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر

فى ارض سبخة

امعن [illegible] التوبة [illegible] المغفرة [illegible] على [illegible] تعهدها

[illegible] قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب

على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله بغير طاعة وانتظار زرع

الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني

على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انه حالة اثمرها

العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب

على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر ماؤه صدق

رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنقية كل حشيش

نبت فيها ولا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده

اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة والماء معوز وان

البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء

محمود لانه باعث على الاجتهاد على العمل واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف

عن العمل والخوف ليس بضد الرجاء بل رفيق له وباعث على العمل بطريق الرهبة

كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال

والمواظبة كيفما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم

بمناجاته والتلطف والتملق له فان هذه الاحوال لا بد وان يظهر على كل من يرجو

ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله وان كان ذلك لا يظهر

فليستدل به على

كما ذكره موضع برجوع

الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض [illegible]

اثماره لهذه الاعمال حديث زيد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن

علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت

احب الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني

شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك

للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر رسول الله صلى

الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه

العلامات فهو مغرور متمن وغير الشيطان اسم التمني فسماه رجاء حتى خدع

به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية يعني

ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى

جزاء بما كانوا يكسبون فنعم اجر العاملين هل جزاء الاحسان الا الاحسان جزاء

بما كانوا يعملون انما توفون اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اواني

وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد

فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجرة وزعم ان المستاجر

كريم افيراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا الجهل بالفرق

بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو ويضيعون العمل

فقال هيهات تلك امانيهم يترددون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب

منه

وقال ... بن دينار ... البارحة ... قال رجل

انا نرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما

ان الذي يرجو الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح ولم يجامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك

من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي

فهو مغرور ولهذا لم يقتصر بقوله عز وجل ان الذين امنوا حتى قال وعملوا الصالحات

في كثير من المواضع في القران وجعل الجنة جزاء لمن جمع بينهما حتى قال لهم جنات

الاية فكما انه اذا نكح ووطئ وانزل وبقي مترددا يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق

الولد ودفع افات عن الرحم وعن الام ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصا

لحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه وان

لا يدوم عليه وان تختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويحفظ له دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت

على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي

فهو كيس وما عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من

اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع

ونكاح ولا ينبت الزرع الا بحراسة وبث البذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر

الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان صدقك في قولك وان ليس للانسان

الا ما سعى وان سعيه

سوف يرى ... الذي ... باليهم ...

في عبادة الله فانه توفى كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان

وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم

فسحقا لاصحاب السعير ورجاء اكثر الناس هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا

واعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقال النبي عليه السلام سيغلب

على اخر هذه الامة الغرور وقد كان الصحابة والتابعون وتابعوهم يواظبون

على الطاعات ويجتهدون ويجاهدون مع انفسهم ويؤثرون حالها وقلوبهم

وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله وطول

البكاء وايثار الفقر والجوع والعري وترك المشتهيات من المطعم والمسكن

والملبس والمبالغة في التقوى والحذر من المشتبهات والشهوات ويبكون

على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين ومطمئنين

غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين

انا واثقين بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون

انهم عرفوا من كرم الله وعفوه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون

فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم

وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه

معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق

الثياب على الابدان

[illegible]

يعرفون بخبر انهم يضعون الطمع مواضع خوف جهلهم بتخويفات القران وما
فيه وعيده اخبر عن النصارى قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون
عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقال تعالى ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر متفكر
الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه فترى الناس يهذونه هذا
يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها ونصبها وخفضها لا
يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم حمق وجهل يزيد
على هذا وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء و
هبت ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج
كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الحاقة
فصعق وكان اذا دخل في الصلوة يسمع بصدره ازيز كازيز المرجل وقال
الله تعالى وخر موسى صعقا وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني قط الا وهو يرتعد
فرقا من الجبار وروي انه لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرائيل وميكائيل
يبكيان فاوحى اليهما ما بالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك
فاوحى الله اليهما هكذا كونا لا تأمنا مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار
طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما خلق بنو ادم عادت وعن انس انه عليه السلام
سأل جبرائيل ما لي

جبرئيل

[illegible]

فبعثهم وقال ابن عمر خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة
فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه
فقال ولكني اشتهيه وهذا الصبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولو سألت ربي لاعطاني ملك
كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف
اليقين فقال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله
يرزقها واياكم الاية وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم الخليل من مسيرة ميل
خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى
نبت المرعى من دموعه حتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن
فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه
التوبة والمغفرة فقال يا الهي اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته مكتوبة في
كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب ولا لغيره الا راها فابكته وكان يعاتب لكثرة
البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا
وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وروي انه لما اصابته الخطيئة نقص صوته الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين
ولما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال الهي اما ترحم بكائي فاوحى الله
اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت
الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الرياح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش
بحرابي الهي وسيدي ما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه
وحشة المعصية يا داود ادم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له
ملائكتي

[illegible]

[illegible] ... داود ... سمع مني وسوق اقول

اطعتنا فاطعناك سالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على
ما كان منك قبلناك وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم الناس يعظهم فخرج نحو اربعين
الف عالم منهم ... الفا ومات رجع الى عشرة الاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى
اذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان يتفرق
اعضاؤه ومفاصله فيموت وكان يقول في مناجاته الهي رب زلة داود زلة
ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود جعلته حديثا في الخلق سبحان
الملك العظيم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان حايل بين القلوب الهي
خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته الهي الثكلى على ولدها وداود يبكي
على خطيئته الهي لم تعذبها وعظت به غيري الهي باي عينين انظر بهما اليك يوم
القيمة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي الهي باي قدم اقوم امامك يوم تزل اقدام الخاطئين
سبحان خالق النور ويلي للخاطئ يوم القيمة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي انا الذي لا
اطيق صوت جهنم ... نصب الموازين القسط ويلي اذا اخذ بناصيتي فدفع الى
خصمي سبحان خالق النور ويلي اذا سحبت على وجهي مع الخاطئين سبحان خالق النور
ويلي حين تجمعني الزبانية في السلاسل والاغلال مع الظالمين والشيطان الى النار
سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها سبحان خالق
النور الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني اسالك يا اله ابراهيم
واسمعيل واسحاق ان تعطيني سؤلي فان اليك رغبتي اللهم اني اعوذ بك من
دعوة لا يستجاب وصلوة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذر لا يقبل وبكاؤه ومناجاته
وحكاياته كثيرة لا تحتمله هذه المختصر وما كان ذنبه فعلا من افعال الجوارح بل

[illegible] ... عبد الله بن عمر رضي الله
عنه وكان الزهد جاريا في المحراب اقصى وصحارى وجبال بيت المقدس وقال ابن عمر رضي
يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادة اهل المسجد قد لبسوا مدارع
الشعر والصوف ونظر المجتهدين منهم شدوا انفسهم بالسلاسل الى الطراق بيت المقدس
فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم الينا نلعب فقال
اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع بيت المقدس
وكان يخدمه نهارا ويقوم فيه ليلا حتى علبه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطوال الارض
وغيران الشعاب فخرجا ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه في الماء
وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين
مكاني منك فسأله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل
وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرداه ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه
الشجر والمدر ويبكي زكريا لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه
لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا يواري
اضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبد فالصقتهما على خديه فكان
اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت دموعه في القطعتين اتت عليه امه فعصرتهما فاذا رأى
دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت
ارحم الراحمين فقال له زكريا انما سالت ربي ان يهبك لي فتقر عيناي فقال يحيى
يا ابه ان جبرائيل اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء وقال زكريا
فابك يا بني وقال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
ويباعدان من الدنيا بحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل وكان الخليل اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبرائيل

فيقول الجبار ... السلام ويقول هل رايت خليلا يحاسب خليله فيقول الجبار ...

ذكرت خطيئتي نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء فتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله وصفاته

ولقد روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه راى طايرا فقال ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا

وكان يقول ابو ذر لوددت اني شجرة تعضد وكان يقول عثمان وددت اني اذا مت لم

ابعث وكانت تقول عايشة وددت اني كنت نسيا منسيا وكان عمر يسقط من الخوف

اذا سمع اية من القران مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض فقال

ليتني كنت هذه التبنة ولم اك شيا مذكورا ليت امي لم تلدني يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر

خطان اسودان من الدموع ولما قرا عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف

نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يقرا والطور فوقف يسمع فلما بلغ قوله ان

عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى الحايط فمكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس

ولا يدرون ما مرضه قال علي فقد سلم من صلوة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده ويقول

لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا

شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى وقد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون

بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى

تبل ثيابهم والله كاني بالقوم غافلين ثم قام فما روي ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين

لوددت اني كنت رمادا تسفيني الرياح في يوم عاصف وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر

لونه فيقول له اهله هذا الذي يعتادك فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى

بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت بنا من خوفه وجزعه وكان المسور بن

مخرمة لا يقوى ان يسمع القران من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف والاية فيصيح الصيحة فما

يعقل اياما حتى عند رجل من خثعم فقرا عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين

الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين اعد علي القران ايتها القارى فاعدها عليه فشهق شهقة فلحق

[illegible]

بعاد من اطراف البصرة وكانت ... المتعبدة ... وهي تقول يا رب

كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما

زال ذلك دابها حتى طلع الفجر ومر الحسن بشاب وهو مستغرق بالضحك وهو جالس مع قوم في

مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال

فما هذا الضحك قال فما روي الفتى بعدها ضاحكا وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني

اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك ان تصنع في ليلك ونهارك

فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني فقال وعزتي لا

غفرت لك وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط قال كيف اضحك وجهنم قد سعرت

والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل

بعد الف عام ويا ليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لشدة خوفه وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال

وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة

فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة خوفه فقال

ما يؤمنني ان يكون الله قد اطلع على بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك

فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب

بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا

شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا

قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا

ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا

ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجايب انا اذا اردنا

المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا وان اردنا رتبة

بالوعظ تعقبها ونحن في حضرته وبكائه وسهرنا وتهجدنا [illegible]

ولا نجلس في بيوتنا ونغفو الى ان ثم اذا اصبحت اجتمعنا نحو الملك الكريم المقيم نفتقر

بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والى الله رجاؤنا وبه اغترارنا ينادينا و

يقول وان ليس للانسان الا ما سعى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك ثم لم ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية

غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها

ويجبرنا فنسأل الله ان يتوب علينا بل نسأله ان يسوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا

يجعل حركة اللسان بقول التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل

اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان اعظم

من هذا فنسأل الله ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية

خوفهم على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكتفي والكثير منه وان

افيض على القلب الغافل لا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني

وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله

ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب

اوصني بوصية احفظها عنك فقال بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل

قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف ان يغفل فيفترسه السباع او يسهو فينهشه

الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره

وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من

الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ

وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق

فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بانواع السباع واصناف الهوام مثل الغضب

والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان

سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت

في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك

العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك

صورها فان اردت ان تقتلها او تقهرها وانت قادر عليها قبل الموت فافعل والا

فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك

فهذا خوف الانبياء والعلماء والاولياء فتامل ايها الغافل مع كلال بصيرتك وعمى

عين قلبك في احوالهم كيف اشتد عليهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق

وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا على الارض ان عقل

الانبياء والعلماء والاولياء لا يشبه عقلك فان كان لا يؤثر في قلبك فان قلوب الغافلين

مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق

فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون فاشتغل

بالاستعداد ايها المسكين فواظب على ذكر الله واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس

من فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي و

اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف

وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف

فيه روحك فراقب قلبك في كل تطريفة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك

هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان

لا يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها

ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث

عن نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام

العبد الا على ما غلب عليه

فى يقظته ولا يبعث الا على ما مات عليه فى نومه كما لا يموت المرء الا على ما عاش عليه
الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك كما ان النوم واليقظة
حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة بعين اليقين
ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فطنت
لذلك كنت مع ذلك فى خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم
هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم
ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن و
الباقى كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغى ان يكون تناولك تناول
مضطر كاره ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك فى قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام
فى البطن وبين اخراجها فهما ضرورتان فى الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى تشتغل
بها قلبك فلا ينبغى ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك
فقيمتك ما يخرج منه فاذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله كقصدك فعلامة
ذلك ان يظهر من ثلثة امور فى ماكولك فى قدره ووقته وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفى فى
اليوم والليلة بمرة فتواظب على الصوم واما قدره فان لا يزيد على ثلث بطنه واما جنسه
فان لا تطلب اللذائذ من الاطعمة بل تقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاثة وسقط
عنك مؤنة الشهوات واللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله
فان الحلال يعز ولا يفى بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة
فكل ما دفع البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضل يضيع زمانك ويلزمك
الشغل الدائم والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهات وقس
بهذا ما يدفع الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به فى خساسة قدره
وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت

بمقصوده فالسماء والارض مستقر فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا
طال عليك الامر وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط
سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع
الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت فى مهواة بعد رقيك وهكذا جميع ضرورات امورك
ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لاخرتك والاستعداد لها بقيتك وان
جاوزت حد الضرورة الى اودية الامانى تشعبت همومك ولم يبال الله فى اى واد هلكت فاقبل هذه النصيحة
ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا
دفعته يوما بيوم فى تسويفك او غفلتك اختطفت فجاة فى غير وقت ارادتك ولم يفارقك حسرتك
وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه فاعلم انك فى خطر عظيم يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من اتى الله بقلب سليم فاياك واياك ان تكون مغرورا بقول العلماء السوء ولا بفعلهم ولا بنصيحة
وعاظ الزمان فانهم شياطين الانس بل عليك الاسكات او الاخراج ان قدرت والا فعليك الخروج وعن
ابن عمر انه خرج من المسجد وقال ما اخرجنى الا الواعظ ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثورى
نستقبل بوجوهنا القاص يعنى الواعظ فقال ولوا البدع ظهوركم ودخل الاعمش جامع البصرة
فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال
القاص يا شيخ الا تستحيى فقال لم انا فى سنة وانت فى كذب انا الاعمش وما حدثتك واخرج على
كرم الله وجهه القصاص عن مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم
فى علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه
الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها و
تصرمها وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو المراد من التذكير الذى وردت عليه
فى حديث ابى ذر وغيره وفى رواية عنه حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس
علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس علم افضل من شهود الف جنازة فقيل يا رسول الله

ومن قراءة القران قال وهل ينفع قراءة القران الا بالعلم وقد اتخذ المتزهدون هذه الاحاديث
حجة على ترك تزكية نفوسهم وتعليموا اسم التذكير الى خرافاتهم وقد هلكوا عن طريق التذكير المحمود فا
شتغلوا بالقصص الذي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان وتخرج عن
القصص الواردة في القران وتزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر سماعه
وانه كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن
هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق اي واعظ فان كانت القصص
من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا وليحذر الكذب
واحوال تومي الى هفوات او مساهلات تقصر فهم العوام عن درك معانيها وعن كونها هفوة نادرة
مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته
عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وعن بعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي
فلا غرو ان عصيت الله فقد عصاه من هو اكبر مني ويفيد ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد
الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القران
وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ولهذا كر شروط كثيرة مذكورة في موضعها من هذه الكتب
ستطلع عليها ان شاء الله الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال
ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال با
لكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة
القران ويراعي في العقد الذي به يكتسب اربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة
وقد اوردنا ذلك في كتاب الكسب بحدها وحقيقتها ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى
ترتيب الاوراد المذكورة وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فله فضل
عظيم وثواب جزيل لا يقصر عن ثواب الاوراد المذكورة لان العبادة المتعدية فايدتها النفع
من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه يتقرب الى الله تعالى بجعل

١٠٦

به قابلية الخير ويجذب اليه بركة دعوة المسلمين فيتضاعف به الاجر ولكن ينبغي ان يطلب لصدقته
من تزكو به الصدقة وهم ستة الاول المتقي المعرض عن الدنيا المتجرد لتجارة الاخرة قال عليه السلام
لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان المتقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا
له في طاعته باعانتك اياه وقال عليه السلام اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء
يوثر بالعطاء المنقطعين الى الله فقيل له لو عممت لكان افضل فقال لا هولاء قوم
هممهم لله فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد منهم الى الله تعالى احب
الي من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام لجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من
اولياء الله ثم حكي ان الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله
بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ
من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه الثاني ان يكون من اهل العلوم خاصة فان ذلك
اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص
بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من
مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم
فتفريغهم للعلم افضل والثالث ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده
انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة ومن شكر غير الله
فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مسخر مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه وقد
ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الزكوة الرابع من ان يكون مستترا يخفي حاجته وان يكون من
اهل المروة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل الخامس ان
يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب السادس الاقرباء وذوي الارحام
فيكون صدقة وصلة قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان
اتصدق بعشرين درهما واخوان الخير ايضا يتقدم على المعارف كما يتقدم الاقارب على

ولان اصله بعشر دراهم احب الي من ان اتصدق بمائة درهم

الاجانب فليراع عند الرفق بهذه الصفات المطلوبة وفي المتصفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها
فان وجد من جميع جملة من هذه الصفات فهو الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى وهما اجتهد في ذلك
واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد كان احد اجريه في الحال بتطهير نفسه عن صفة البخل
وتاكد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه وتشوقه
الى لقاء الله والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها اثر في الحال
والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثاني وفي ذلك اجر آخر
وهو اجر خدمة الفقراء قال صلى الله عليه وسلم الخادم في امان الله ما دام الخادم في خدمة المومن
وللخادم في الخدمة اجر الصائم بالنهار والقائم بالليل الحديث بطوله وقال عليه السلام طوبى
للخادم يوم القيمة وليس للخادم حساب ولا عذاب وللخادم شفاعة مثل ربيعة
ومضر وفي رواية خادم القوم افضل عند الله من عابد مجتهد ومن معلم محتسب وللخادم اجر
من يخدمهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء وقد قيل في فضل الكسب الرجال ثلثة رجل شغله
معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال
هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب
لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين
والشهداء وقال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا
على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان صلى الله عليه جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب
ذي جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم
لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله
وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى
تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وفي الخبر ان الله يحب المومن المحترف وقال صلى الله عليه وسلم
احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وقال احل ما اكل الرجل كسب يد الصانع اذا نصح وقال

عليه السلام عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه السلام راى رجلا فقال
ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم
حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي رجلا اعطاه الله فيساله اعطاه او منعه وقال
عليه السلام من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله له سبعين بابا من الفقر وقال ابن مسعود اني
لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وسئل ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو
احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان
من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والاعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري
في هذا وقال عمر رضي الله عنه ما من موضع ياتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي
ابيع واشتري وقيل لاحمد بن حنبل ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى
ياتيني رزقي قال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي
تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو
في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البحر ويعملون في نخيلهم و
القدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد
وروي ان الاوزاعي لقي ابراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى
هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه بلغني ان من وقف موقف مذلة في طلب
الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمان ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك
يقوت لك ولكن ابدا برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وبالجملة من كان معه مال فاكتفى به قانعا
فترك مخالطة الناس لا افضل اذا انسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون
يكون غرضه الصدقة بكسبه فاذا اكتسب من جهة حلال وتصدق به فهو افضل من ترك
الكسب والمخالطة والاشتغال بالنافلة وليس افضل من الاشتغال بالتحقيق في
معرفة الله ومعرفة علم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد له لذكر الله اعني

بآثارها وانما يترتب الا على المجموع واذا لم يكن يعقب اعمال الواحدات تحسوسا ولم يرد و

بيان وثالث على القرب انجح اثر الاول ولكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير

فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر فيه ولو وزع ذلك القدر

على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله ادومها

وان قل وسئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان

اذا عمل عملا اثبته وكذلك قال النبي عليه السلام من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته

الله ولهذا كان هو السبب لصلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغل عنهما

الوفد ثم لم يزل بعد ذلك ان يصليها بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به

روت ذلك عائشة وام سلمة رضي الله عنهما

الباب الثاني في الاسباب الميسرة

لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين

قال صلى الله عليه فيما روت عائشة رضي الله عنها ان افضل الصلوة عند الله تعالى صلوة المغرب

لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى

المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي لا ادري من ذهب

او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة

وروت ام سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات

بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة

او قراءة كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام

ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر

ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة وقال عمر رضي الله عنه اذا يكثر قصورنا

يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل واطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر

الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر ايات من اول سورة البقرة وآيتين

من اوسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى يعقلون وقل هو الله احد

خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا قرأ في الركعة الثانية فاتحة الكتاب قرأ آية الكرسي وآيتين

بعدها الى قوله خالدون وثلث ايات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى آخر السورة وقل

هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن حد الحصر وقال كرز بن

وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله بالليل فقال اذا صليت المغرب

فقم الى الصلوة العشاء مصليا من غير ان تتكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها

وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من

صلوتك انصرف الى موضعك ولا تتكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله

احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله و

الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع

راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين

والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا

الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي وادم عليها السلام حتى

يذهب بك النوم فقلت احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم

حيث علم هذا الدعاء واوحي الله اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه

اياه ويقال ان هذا الدعاء

وهذه الصلوة من داوم عليها ... حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد
مولى رسول الله هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب
والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلوة الاوابين وقال
الاسود ما رأيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هو ساعة
الغفلة وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اني اصوم النهار واتعشى بين المغرب
والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر ذلك فافطر
وصل ما بينهما فضيلة قيام الليل اما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا الآية وقوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع الآية وقوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا الآية وقوله تعالى والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما الآية وقوله استعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل فيستعان با
لصبر عليه على مجاهدة النفس ومن الاخبار قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية
احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ
وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس
والا اصبح خبيث النفس كسلان وروي انه ذكر عنده صلى الله عليه وسلم رجل نام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل
بال الشيطان في اذنه وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا
وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون

رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وانت تريد رضا ربك يا ابا هريرة
صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير
للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر
لو اردت سفرا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا ابا ذر بما
ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين
في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين
او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وقال علي بن الحارث شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام
من خبز شعير فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا لك من داري
ام وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة
لذاب شحمك ولزهقت نفسك ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد
بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل
فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت فان ابت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من
الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم
من استيقظ من الليل وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا
والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال
صلى الله عليه وسلم من نام عن ورده بالليل فقرأه بين صلوة الفجر والظهر كتب له كانما
قرأه من الليل ومن الآثار روي عن سفيان الثوري شبع في ليلة فقال ان الحمار اذا
زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح روى عبد الله بن القاسم القرشي

قال سمعت عن بعض الصوفية يقول رايت احمد بن حنبل في المنام وعليه حلتان
وفي رجليه نعلان من الذهب الاحمر شراكهما من اللؤلؤ واله خضر وعلى راسه تاج من
النور مرصع بالجواهر واذا هو يتبختر في مشيته فقلت له حبيبي يا ابا عبد الله ما هذه
المشية التي ما عرفتها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار دار السلام فقلت حبيبي
يا ابا عبد الله ما هذه التاج الذي اراه عليك قال ان الله عز وجل غفر لي وادخلني الجنة وكساني
وتوجني بيده واباحني النظر اليه وقال يا احمد فعلت بك هذا لقولك القران كلام الله تعالى
غير مخلوق وروي انه راى هذه الرؤيا ايضا محمد بن اسكندري قال قال لي احمد بن حنبل ثم
قال لي ربي يا احمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري وكنت تدعو بهن
في دار الدنيا قال فقلت يا رب كل شي بقدرتك على كل شي لا تسالني عن شي اغفر لي كل شي
فقال لي يا احمد هذه الجنة فقم ادخل اليها فدخلت فاذا انا سفيان الثوري وله جناحان
اخضران يطير بهما من نخلة الى نخلة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده و
اورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال فقلت ما فعل عبد
الوهاب الوراق قال تركته في بحر من نور في زورق من نور يزور به الملك الغفور فقلت
له ما فعل بشر فقال بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة
من الطعام الجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم ياكل واشرب يا من
لم يشرب وانعم يا من لم ينعم وقال قبيصة رايت سفيان الثوري فقلت له ما فعل الله بك
فقال نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضاي عنك ابن سعيد وقد كنت قواما
اذا اقبل الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما يتقلى

[illegible]
وكان عبد العزيز بن رواد اذا جن الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك للين والله
في الجنة الين منك ولا يزال يصلي كل ليلة وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به
قيام الليل فقال الفضيل ان لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم
وقد كثرت خطيئتك وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان جوف
الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر
فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني
من قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه
ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيره وقال ابو الجويرة لقد صحبت ابا حنيفة ستة
اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي
الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل وكان يحيي الليل بعد ذلك كله ويروى انه ما كان له فراش
بالليل وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية كاحسن
ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي تحسن القراءة فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها
الهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو
بالجنان مع الحسان تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران ويروى عن
ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت
لها من انت فقالت من الحور فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني
فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض
ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو

[illegible] النوم وكان يوسوسه من [illegible] النوم [illegible] وحصول خفقات ثم

الى القيام وقال بعضهم رايت رب العزة في المنام فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى

سليمان التيمي صلى الى الغداة بوضوء العشاء اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خالط القلب

بطل الوضوء وروي انه قال الله تعالى ان عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك وقيل للحسن

ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره قال

ذو النون المصري في وصف القوم كلاما طويلا وقد هز اجسامهم الوعيد [illegible] السهد

واكثر رجال اطاع الله في السر والجهر فما باشر اللذات حينا من الدهر اناس عليهم رحمة

انزلت فظلوا سكونا في الكهف وفي القفر يراعون نجم الليل حتى يرونه فبانوا باحسان

الى النجود والصبر معارضهم القوم وحشة فصاح بهم انس الجليل الى الذكر فجاءهم في

الارض هونا مغيبة قلوبهم تسري الى معدن الفخر وعن حارث المحاسبي قال اجتمع

جماعة من العلماء فاتوا عابدا في بيته فقالوا له اوصينا بوصية فقال اقطعوا الدهر احوالي

بمناجات ربكم واجعلوا الهم واحدا هو فعين لعيشكم فقيل له فما ميراث ذلك اذا فعلناه

فقال تتركوا العز والمنى وتفوزوا بحظكم فقيل له متى تكونون ملوكا في الدنيا وملوكا في الاخرة

فقال حين يكلمكم العزيز على قدر شكركم فتكونوا مقربا له على قدر حبكم قالوا فما الذي يقطع

بنا عنه عز وجل فقال تتمادون في المنى وتناسون فعلكم وانتم مع ذلك تتمنوا امانيا ليس لها

يصلح شانكم وذلك انكم قد شغلتم عن الله باصلاح عيشكم قالوا فبما نستعين على الطاعة

فقال بذكر العابدين وانكم لو سقيتم بمحبته مثل ما ذاق غيركم لنفى عنكم الرقاد على لين فرشكم

اخفيتم نعمه دعوا في غد عنه بعثكم فوق نوق من النجائب معكم نبيكم وتزورون ماجدا

واحدا لعطائكم قالوا انما حال الزوار عنده قال انهم قاربوا الجليل يجلي لعتهم فاذا عاينوا

بل تقبضت [illegible] من كلامهم فقال ما علامة من يسقيه الله

بكاس من محبته فقال علامته ان يكون عليل الفؤاد بذكر المعاد بطيء الفتور في جميع الامور

كثير الصيام سديد السقام كثير السهاد قليل الرقاد عفيفا كفيفا قلبه في العرش جوال

والله مراده في كل الاحوال بيان الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل ظاهرا وباطنا.

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له

ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم

ويثقل عليه القيام كان بعض المشايخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين

لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وتخفيف

المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيي بها الجوارح

ويضعف به الاعصاب فان ذلك مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها

سنة للاستعانة على القيام بالليل الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب

ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب

قيام الليل واعد طهوري فما لي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل

السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء وقال الثوري حرمت قيام الليل

خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم

دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت له اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يولمك قال اشد فقلت

فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا وردي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا

لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال

ابو سليمان الداراني لا يفوت احد صلوة الجماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة

والجنابة البعد قال بعضهم اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر فان العبد يأكل اكلة فيتقلب
قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول فان الذنوب كلها تورث قساوة القلب ويمنع من قيام
الليل وهو احد السدود المذكورة في قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولعل
الله يوفقنا على تصنيف مختصر نبين فيها الذنوب كلها وكيفية تاثيرها ومقدار تاثيرها و
كيفية منعها عن الطاعات وبيان الذنوب التي تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وكيفية
تاثير القلب بها واسودادها وكيفية تحليتها واشرابها ان شاء الله تعالى واخصها بتاثير تناول
الحرام ويؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيره ويعرف ذلك اهل المراقبة
للقلوب والتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم
من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين
كنت سجانا نيفا وثلثين سنة اسأل كل من اخذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة
فكانوا يقولون لا فهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات
الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب عن حقد المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا
فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا
يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنائم الثاني خوف غالب
يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره
كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان
يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار
لا ياتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة
اشتد شوقي

فلا اقدر ان انام ولذي لقوت رحمه الله يعجبني قلبي كيف تسهر وقد تكن جسيمة تخشع
فاكثر بمن هو لي استهاد لدى الدجى ان كنت تفهم حالا فوهو وتسمع قد منع القران بوعده ووعيده
مقل العيون بليلها ان تهجعا فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع وله
من ذاق طعم الوداد حمى جميع العباد من ذاق طعم الوداد قلبي لذيذ الرقاد من ذاق طعم الوداد
انس برب العباد وانشد يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان
في القبر اذا نزلت اليه لرقادا يطول بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت او حسنات
امنت البيات من ملك الموت كما نال امنا بيات وسنكتب كتابا مختصرا التكميل

القسم الثاني من الميسرات الباطنة ان شاء الله تعالى الثالث ان يعرف فضل قيام بسماع
الآيات والاخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة
في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامرأته كانت ينتظر
فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة
فلما قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت
الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها الرابع الحب لله وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم
بحرف الا وهو يناجي به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله
خطاب معه فاذا احبه الله احب لا محالة الخلوة وتلذذ بالمناجات فيحمله لذة المناجات
بالحبيب على طول القيام ويشهد على ذلك العقل والنقل سنذكر ان شاء الله في المختصر الذي
نعلتم الوعد به وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته
اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع وقال فضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ

من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل
من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال
بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم و
قال ابن المبارك ما بقي من لذات الدنيا الا ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال
بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها انوارا فترد الفوائد على
قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء
ان الله اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني واحبهم ويشتاقون الي
واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك
وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي
غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط
الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا وجوههم وناجوني بكلامي و
تملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما
يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية
لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث اقبل بوجهي
عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام
العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة
والانوار من قرب الرب من القلب ولهذا سر وتحقيق سنذكره ان شاء الله في المختصر الموعود وشكى بعض
المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله

[illegible]ات في الليل [illegible] القلوب [illegible] فتعرض
لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات
بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا
الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك كل
ليلة بيان طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع
مراتب المرتبة الاولى احياء كل الليل وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا
بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار
في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء
العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان
فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن
عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم
والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم
العباديان وحبيب بن محمد وابو جابر الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد
الرقاشي وحبيب بن ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين
ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر
في جماعة يكثر عددهم الرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد
المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس
الاخير منه حتى يقع القيام في جوف الليل ووسطه فهو الافضل والرتبة الثالثة ان يقوم ثلث

الليل فينبغي ان ينام السدس ... وبالجملة فنوم آخر الليل محبوب

اذ يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به

فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه قالت عايشة رضي الله عنها

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر آخر الليل وان كان له حاجة الى اهله دنا منهن

والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه للصلوة وقالت ايضا ما الفيته

السحر الا على الا نايما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم كان ابو

هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من ورا حجب الغيب وذلك لارباب

القلوب وفيه استراحة تعين على ورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف

الاخير ونوم السدس الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام الرتبة الرابعة

ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في الاخير وقبل السدس الاخير

منه الرتبة الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن

يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه

يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له

بالليل نومتان وقومتان وهي من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان

من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة

وجماعة من التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فاذا انتبهت

ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار

فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه

يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل قوله ان

ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف

سدسه فان كسر قوله وثلثه كانه نصف ثلثين فيقرب من الثلث والربع وان نصب

كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ

وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد انه قال رايت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت

هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضا وصلى

حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال

اول مرة وفعل ما فعل اول مرة الرتبة السادسة وهي الاقل ان تقوم مقدار اربع ركعات

او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر

والدعا فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جا في الاثر صل من الليل ولو قدر

حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر

عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احيا ما بين العشائين والورد الذي بعد

العشا ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نايما ويقوم بطرفي الليل وهذه

هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار يترتب هذه المراتب بحسب طول الوقت

واما الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في المقدم و

التاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة

دون الرابعة بيان الليالي والايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل

التي يتاكد فيها استحباب الاحيا في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد

عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى

غفل المريد عن فضايل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان وخمسة

خمسة منها هي اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشر من رمضان

فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر قال ابن الزبير هي

ليلة القدر واما التسع الاخير فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب

وليلة نصف منه وليلة سبع وعشرون منه وهو ليلة المعراج وفيه صلوة ماثورة فقد قال

صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة لمن صلى فيها اثنى عشر ركعة

يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القران يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن

ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة و

يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح

صائما فان الله تعالى يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من

شعبان ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونه كما

اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلة العيد وقال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي

العيد لم يمت قلبه يوم يموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسع عشرة يستحب

مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين من رجب له شرف عظيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا

وهو اليوم الذي هبط فيه جبرائيل على محمد عليهما السلام بالرسالة ويوم سبعة عشر من شهر

رمضان وهو يوم وقعت بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام

المعلومات وهي العشر الاول من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق

وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم

شهر رمضان سلمت السنة ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس

والاثنين يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر

والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة

تمت بعون حسن توفيقه وصلى الله على

سيدنا محمد واله اجمعين. ويرحمنا

الحمد لله على التمام وللرسول افضل السلام

تاريخ سنه

اثنى ثمان مايه

والله اعلم

[illegible] ان يفعل [illegible]

[illegible] هذه الميت مستقبل القبلة [illegible] من تبعني الله اكبر

[illegible] اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله [illegible]

[illegible] واليك يرجع الامر كله [illegible] على نيته وسره وانت على كل

شيء قدير الله اكبر اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد

وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وسلمت وبا

ركت وارحمت وترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين

انك حميد مجيد اللهم تقبل شفاعة محمد على امته كرم

[illegible] وشرف بنيانه واثقل ميزانه واسقنا بكاسه واحشرنا

[illegible] ولا نادمين الله اكبر اللهم اغفر

لحينا وميتنا وشاهدنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا

[illegible] منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه

[illegible] اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله

ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا

[illegible] الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره

[illegible] امله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة

[illegible] من عذاب النار اللهم ان كان زاكيا فزكه وان كان

[illegible] فاغفر له وان كان محسنا فزد في احسانه وان كان

[illegible] الله اكبر اللهم اجعله لنا فرطا اللهم اجعله لنا

[illegible] اجعله لنا ذخرا اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا

شافعة مشفعة

